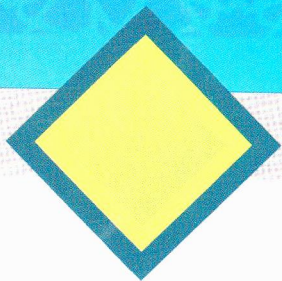
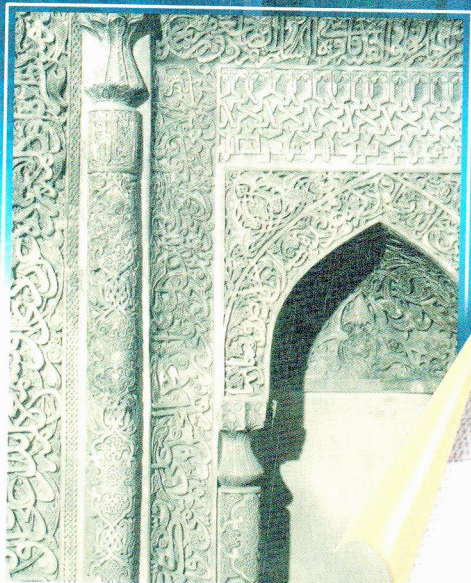


فتاوى سياسية

حوارات فى الدعوة والدولة



د/ محمد مختار الشنقيطي

فتاوى سياسية
حوارات في الدعوة والدولة

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

رقم الإيداع: ١٣٣٩٥ / ٢٠١٠ م

I.S.B.N : 978-977-409-073-2

مؤسسة أم القرى

للنشر والتوزيع

فتاوى سياسية

حوارات في الدعوة والدولة

تأليف

محمد بن المختار الشنقيطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* في مقال لكم بعنوان "مخاض الفكر السلفي" ذكرتم بعض الملاحظات الفكرية على الفكر السلفي ، ولكن سؤالي هو: من وجهة نظركم ماذا ستكون نتيجة هذا المخاض؟

الفكرة الرئيسية للمقال الذي تكرمتم بالإشارة إليه، هي أن المشهد السلفي يشهد اليوم تحولات عميقة، لو أدرك دعاة الإسلام ووعاته - من السلفيين وغيرهم من الإسلاميين - كيف يرعونها حق رعايتها، لكان لها أثر إيجابي كبير على الصحة المباركة، ولأمدت الساحة الإسلامية بدماء جديدة وحيوية متجددة.

أما ماذا ستكون نتيجة هذا المخاض، فانه أعلم بالمآل. لكن مسار الأمور يتوقف - فيما يظهر لي - على السلفيين أنفسهم أكثر مما يتوقف على غيرهم: فإن هم استطاعوا التحرر من أسر التاريخ، والالتحام بهوم الأمة في زمانها الراهن، فسيكون لهم دور إيجابي في المستقبل، وإلا فسيطويهم التاريخ في جنباته.

لقد خلصت في المقال المذكور إلى الخلاصة الآتية: "إذا كان الإيرانيون سيدركون في النهاية أن لديهم أعداء غير الأمويين، فإن السلفيين سيدركون في النهاية أن أمامهم - وأمام الإسلام - تحديات أكبر من منازل المعتزلة والأشاعرة والمرجئة والشيعة والمتصوفة. فما تحتاجه الصحة الإسلامية اليوم، هو قوم يعيشون تحديات عصرهم،

لا الذين تستعبدهم مقولات الماضي ومصطلحاته وحروبه ولجاجاته" وهي خلاصة لا أزال أتمسك بها. على أن المقصود بالتححرر من أسر التاريخ ليس تجاهله، بل امتلاكه.. وهذا حديث آخر على أية حال.

* ألا نظن أن ممارسة الحركات الإسلامية للعمل الدعوي الإصلاحى بفكر ومنطلق حزبي أدت إلى سلبيات كبيرة من أبرزها ضعف التأثير على الجماهير في شتى النواحي الإيمانية والفكرية والأخلاقية؟

للحزب في اللغة والشرع مدلولات كثيرة، وكلمة الحزب لا تمدح ولا تذم في ذاتها، كما أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، بل بحسب ما تنتسب إليه، وتهدف إليه. أما الحزبية بمعنى الولاء الضيق لجماعة بعينها، بشكل يلغى أو يضعف الولاء لكل المسلمين، فذلك ظاهرة خطيرة تؤثر سلبا على رسالة الإسلام في المجتمع، وتؤدي إلى بناء أسوار بين المصلحين وبين عموم الأمة.

هنالك فرق بين العمل للإسلام في جماعة معينة يرجح العامل أنها أحسن الجماعات العاملة فاعلية وأداء، مع الحفاظ على الولاء لجميع المسلمين، ومد يد العون إليهم والتعاون معهم، وبين منح الولاء لهذه الجماعة حصرا دون سواها من المسلمين، والتمسك بموقف الريبة والتعصب ضد بقية أبناء الملة.

أمر آخر يحتاج إلى تنبيه، وهو أن لكل من العمل السياسي والعمل الدعوي منطقة: فالأول يحكمه منطق المغالبة، والثاني يحكمه منطق الاكتساب. فلا بد أن يكون العمل الدعوي والتربوي مفتوحا على عامة الناس، سواء اتفق الداعي معهم أم اختلف.

* ألا ترى أن الأحداث والتطورات قد تقدمت بمسافات كبيرة على الحركة الإسلامية؟ أقصد أن الحركة الإسلامية لم تعد ذلك الإطار الذي يواكب الحدث ويتفاعل معه؟ ألا ترى أن الإسلاميين المستقلين والعمل الإسلامي العام هما اللذان يسيطران على الساحة، والحركة الإسلامية بدأت تتراجع كثيرا؟

أعتقد أن بعض الحركات الإسلامية تعاني من أزمة قيادية وتنظيمية عميقة، وقد تناولت ذلك بكل تفصيل في كتابي عن "الحركة الإسلامية في السودان: مدخل إلى فكرها الاستراتيجي والتنظيمي"، وتختلف الحركات الإسلامية في درجة هذا التخلف المنهجي، وإن لم تختلف في نوعه. والعجب أن هذا التخلف التنظيمي والتخطيطي لا يزال يتحكم في عقول بعض الإسلاميين المقيمين في الغرب، رغم ما تقدمه لهم المجتمعات الغربية من خبرة عملية. فقد حضرت مؤتمرا إسلاميا بإحدى المدن الأمريكية للمشاركة في تأسيس هيئة إسلامية، وقد أصر منظمو المؤتمر على أن تكون قيادة تلك الهيئة دائمة مدى الحياة، لا مجال لإعادة انتخابها، وكأنهم يعيشون في دولة ستالين!!

وفي ظل هذا التفكير لا عجب أن كانت الأمة متقدمة على الحركة، وكان الإسلاميون المستقلون أكثر حيوية وحضورا أحيانا من الحركيين التنظيميين. فالحركة إما أن تقود أو تكون قيادا، ولا منزلة بين المنزلتين. على ألا يُفهم هذا تثبيطا عن العمل الجماعي، فأنا أو من بأن يد الله مع الجماعة. وإنما أقصد هنا ضرورة مراجعة الآليات والإجراءات، والاعتراف من الثقافة العملية التي وفرتها لنا الثورة السياسية والإدارية المعاصرة، أملا في مزيد من الإحسان والإتقان. وقد تناولت في مقال "ملاحم المأزق القيادي لدى الإخوان المسلمين" على موقع الجزيرة نت، تفاصيل هذا المأزق العملي في الجانب القيادي لدى كبرى الحركات الإسلامية وأقدمها.

* ما هو تقييمكم لأداء الحركات الإسلامية مع الحكومات؟ وهل طريقة تعاملها هي الأنسب في هذه المرحلة؟

التعامل مع الحكومات مسألة نسبية تخضع لظروف المكان، فلا مجال لوضع صيغ نظرية عامة حولها، تصلح لكل الحركات الإسلامية، فتلك دعوى عريضة لا نستطيع ادعاءها. كما أن الحكم على الوسائل حكما عاما ودائما يحولها إلى غايات، ويفقدنا المرونة الذهنية والعملية في التعاطي معها. ولا يعني هذا موقفا سلبيا من تجارب الحركات الإسلامية في هذا المضمار، وعدم تعريض تلك

المواقف للفحص والتقييم، بحجة أن "أهل مكة أدرى بشعابها"، بل لابد من دراسة كل تجربة، وبيان حظها من النجاح والإخفاق، أملا في تحصيل العبرة والخبرة للمستقبل. وعموما فأنا ممن يحبذون علاقات سلمية مع الحكام - ما كان ذلك ممكنا - لأنها هي التي تضمن تحولا أخف إيلاما، وأقل ثمنا، وأكثر رحمة بالأمة. مع اقتناعي بعبرة تاريخية مفادها أن المواعظ المجردة لا تردع الحكام الظلمة، ولا تجعلهم يتنازلون عن سلطة اغتصبوها بغير حق، وأن سنة المدافعة من أهم سنن الله في الحياة السياسية والاجتماعية: ﴿ وَكَلَّا نَدْفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١] ، وأن الأخذ على يد الظالم واجب شرعي لن تفلح أمتنا حتى تعطيه حقه من الفهم والتطبيق. ففي الحديث النبوي الصحيح: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه". وقد نشرت على موقع الجزيرة نت بحثا مفصلا عن "الإخوان والعلاقة بالسلطة" يتناول هذا الشأن بشكل أكثر رحابة وتفصيلا.

* ما هو السبب الحقيقي في عدم وصول الحركات الإسلامية إلى السلطة؟

من الأسباب التي تحول بين الإسلاميين والوصول إلى السلطة أسباب فكرية، مثل الإلحاح في فقهننا السياسي على "الخوف من الفتنة"

و"وجوب الطاعة" مع عدم التدقيق في هذه المعاني، وعدم التمييز بين مفهومها الشرعي المبدئي ومدلولها التاريخي الاصطلاحي، ودون التمييز فقها بين التعاطي مع سلطة شرعية لها بيعة اختيارية في أعناق الناس يجب الوفاء بها، وبين سلطة معتصبة لا بيعة لها ولا طاعة شرعا، بل هي جزء من المنكر الذي يجب تغييره.. ومنها أسباب عملية لعل أولها عدم قدرة الإسلاميين على إبعاد الجيش عن الحياة السياسية، وهو الشرط الأول في بناء أي سلطة شرعية، تتأسس على الاختيار لا على القوة. وقد نشرت تحليلا مطولا بهذا المعنى على موقع الجزيرة نت بعنوان: "الجيش العربية من الانقلابات إلى الثورات". ومن المهم الانتباه هنا إلى أن الوصول إلى السلطة -على أهميته- ليس وصولا إلى الغاية. وذلك درس تعلمناه من تجربة الحركة الإسلامية في السودان، فهي حركة رائدة في الثقافة العملية بمعناها الحركي، لكن فقها في مجال الدولة لا يزال ضعيفا. وهو ما يفسر تخبطها في التعاطي مع قضايا كثيرة يعيش السودان آلامها اليوم.

* أصبح نقد الحركات الإسلامية حديث الساعة، وكأنه الطريق الأسهل إلى الشهرة أمام أي كاتب مغمور، فهل هناك طريقة ما لترشيد هذه الممارسة حتى تؤتى ثمارها وتتسم بالموضوعية وتبتعد عن المهاترات وتنفيس الأحقاد الشخصية؟ وحينئذ يكون النقد بناء وليس هداما، ويقدم النصيحة الصادقة المنضبطة بأدب الشرع.

النقد ظاهرة صحية يجب تشجيعها، ونقد النقد ظاهرة صحية كذلك. والمكان الذي تصله أشعة الشمس لا تعيش فيه الجراثيم. أعتقد أن النقد -حتى مع سوء النية- يخدم العمل الإسلامي، ويحرك كوامن النفوس، ويهز العقول الراكدة، وتلك علامة الحيوية والحياة. أما ثقافة الاكتفاء والامتلاء، والتسكيت والتبكيث، فهي الموت ذاته. إن قلق العلم خير من راحة الجهل، وقديما قال المتنبي:

نو العقل يشقى في النعيم بعقله ونو الجهالة في الشقاوة ينعم

وسيظل من النقد من يدفعه دافع الإشفاق، ومنهم من يدفعه دافع الهدم، والله يعلم المفسد من المصلح. أما نحن فواجبنا تقبل النقد بحق، وإيكال السرائر إلى عالم السرائر.

* يكاد بعض العاملين للإسلام يدخله الشك في مدى نفع العمل الجماعي الحركي، بسبب ضعف الإجازات على مستوى الأمة فيما يعتقد أو يرى، أو بسبب شح المعلومات من القيادة، فيدخل الشك والريب في نفوس العاملين. فبماذا تنصح العاملين سواء على مستوى الأفراد أو المسؤولين؟

الأصل أن العمل الجماعي مطلوب شرعا، مرغوب واقعا. ونصيحتي للمسلم الملتزم هي الارتباط بكل العاملين أفرادا وجماعات، فإن وجدت في بعض الحركات الإسلامية ما لا يرضيك قيادة أو أداء،

فستجد عندها بعض ما يرضيك تربية وثقافة مثلاً.. وحافظ على ولائك لكل المسلمين، بمختلف مشاربهم ومذاهبهم. ولا تقصر عملك على القنوات والمؤسسات التي تنتمي إليها، بل اعمل معها ومع غيرها، ولا تخلط بين الانتماء والولاء: فانتماؤك إلى جماعة لا يعفك من منح الولاء لكل الجماعات العاملة والأفراد العاملين، بل الولاء والنصح لكل مسلم. واصحب كل قوم على أحسن ما عندهم، وابدل جهدك في العمل الفردي موازاة مع العمل الجماعي، واتخذ لك مشاريعك الدعوية الخاصة التي تجعل لحياتك الشخصية معنى، وتكون لك معذرة عند الخالق سبحانه، ولا تدهن الجماعة أو القيادة، واقتحم وبادر، ولا تنتظر الأوامر.

* متى نرى السعي الحقيقي في وحدة العمل الإسلامي وكأته بنيان مرصوص، ونبذ المناوشات، واتحاد القلوب والتنسيق في سد الثغور في شتى المجالات؟ كيف ننادي بكيان مسلم وخلافة راشدة ونحن مازلنا في صراع مع بعضنا البعض؟

صورة البنيان المرصوص واتحاد القلوب بشكل مطلق صورة مثالية نسعى إليها وقد لا ندركها، فما نحتاجه اليوم هو صيغ عملية لتنظيم الخلاف والتعايش معه، والتعاون على المجمع عليه، والعدر في المختلف فيه. ويحتاج الأمر إلى ثورة فكرية تميز بين المفهوم

الشرعي والمصطلح التاريخي، والتأكد من صحة المنطلقات البسيطة التي يتجاوزها بعض المسلمين أحيانا، مثل واجب منح السواء لكل المسلمين، فالولاء للمسلم لا يسقط إلا بسقوط أصل الإسلام، فلا يكن ولاؤك مقصورا على المسلم الملتزم فقط، أو الجماعات والطوائف التي تعتبرها ملتزمة بالسنة، فالولاء حق لكل مسلم أدى الحد الأدنى من الإسلام، وحتى لو كان فاسقا أو مبتدعا، فامنحه حقه من الولاء، ولا تخذله ولا تظلمه ولا تسلمه لعدو، وأعنه على إصلاح شأن دينه، والتخلي عن ما التبس به من بدعة أو معصية. وهذا ما نفهمه من حديث رسول الله ﷺ: " من صلى إلى قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم الذي له ذمة الله ورسوله ".

وتستلزم الوحدة التحرر من المصطلحات التاريخية التي أدت دورا وظيفيا في الماضي ثم أصبحت عبئا على العقل المسلم اليوم، مثل مصطلح "السلفية" و"الصوفية" و"السنة" و"الشيعة". فالرجوع إلى المفاهيم القرآنية والتسميات القرآنية هو الذي يبدي هذه الغواشي، وقد سمانا الله ﷻ مسلمين: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا...﴾ [الحج: ٧٨]، وهي تسمية أفضل شرعا ومصالحة من الاصطلاحات التاريخية. كما أن أي مفرق لكلمة المسلمين - فردا كان أو جماعة- فهو "شيعي" بالمفهوم القرآني، حتى وإن اعتبر نفسه من "أهل السنة والجماعة"،

واقراً إن شئت قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وفي قراءة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾. وما أكثر "الشيعية" بيننا، المفرقين لصف الأمة، ممن يحملون راية السنة والجماعة!!

* ما هو وضع الحركة الإسلامية في أمريكا بعد ١١ سبتمبر؟ هل هناك تطور أم تدهور؟

لا توجد في أمريكا - في حدود علمي - حركات إسلامية بالمعنى التنظيمي السري الذي نقصده في الدول الإسلامية، وليس من الحكمة وجود مثل هذه الحركات. بل الموجود هنا هو مؤسسات إسلامية، لها شرعيتها القانونية التي يضمنها الدستور، وليست تكراً من الحكومة الأمريكية، وتمارس عملها بكل حرية وانطلاق، مع بعض القيود وأساليب الضغط الناتجة عن هجمات ١١ سبتمبر، والتي لم تصل بعد إلى حد القمع الموجود في الدول الإسلامية. وبعد هجمات ١١ سبتمبر تعيش المؤسسات الإسلامية بعض الحيرة والاضطراب، وسيتوقف مستقبلها على مقدار ما تملكه من التصور الحسن، والعمل الجاد، واستيعاب معادلة الزمان والمكان، والتوفيق بين واجبها المتعين في السياق الأمريكي، وبين واجبها العالمي في نصررة المسلمين أينما كانوا. وأنا متفائل جداً أن المسلمين الأمريكيين سيكون

لهم دور تاريخي في ظروف العنف والقلق التي يعيشها العالم اليوم، حينما يتحولون إلى جسر تفاهم وتصالح بين أمريكا والعالم الإسلامي، وإطفاء حريق التشنج والعنف والكراهية السائدة حالياً على الضفتين.

* في ظل الانتخابات الأمريكية المتكررة هل من أمل في بروز رئيس أمريكي يتعامل بإنصاف مع قضية فلسطين؟

في مقال لي بالجزيرة نت عن " ١١ سبتمبر وأخواتها" استشهدت بكاتبين أمريكيين هما الكاتب اليهودي "ديفيد فروم"، وهو يقول في كتابه "الرجل المناسب" إن الرئيس كلينتون -وهو من الحزب الديمقراطي- كان "يعشق كل ما هو يهودي، فوزير دفاعه يهودي، ووزيرة خارجيته يهودية، ومستشاره للأمن القومي يهودي، وحتى عشيقته مونика لوينسكي يهودية". ثم الكاتبة الأمريكية "غريس هالسل" التي تشرح في كتابها "النبوة والسياسة" أن دعم الجمهوريين - ذوي النزعة الأصولية - لإسرائيل نابغ من "عبادة إسرائيل" حتى ليكاد يكون مجرداً من أي اعتبارات دنيوية. ثم توصلت إلى أن النخبة السياسية الأمريكية تنقسم إلى قسمين: ديمقراطي يعشق إسرائيل، وجمهوري يعبدها. لذا فليس من السهل الحكم على أي المرشحين للرئاسة الأمريكية أفضل للشرق الأوسط. والأدق أن نعترف بأن الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط يصوغها اليهود الأمريكيون، وشركات النفط والسلاح. واليهود في الحزب

الديمقراطي ليبراليون، فهم ألين عريكة من اليهود اليمينيين في الحزب الجمهوري. أما دور الرئيس الأمريكي في هذا الشأن فهو دور ثانوي جدا.. صدق أو لا تصدق!! وقبل أن تتغير هذه المعادلة الداخلية في أميركا لا أمل في بروز رئيس أميركي يتعامل مع قضية فلسطين بإنصاف، وستظل احتلال فلسطين والظلم الواقع على شعبها سببا في تسمم العلاقات بين أميركا وكل العالم الإسلامي بكل أسف.

* نظرا لأن الحركات الإسلامية سرية التنظيم فلا توجد فيها شفافية ولا أجهزة رقابية فاعلة. فمجالس الشورى فيها أقرب للديكور، هذا إلى أن هذه الحركات تعاني العسكرة، فالمبدعون فيها قاتل، والتميزون مهمشون. وسؤالي هو عن شرعية التغيير داخل الحركات الإسلامية، خاصة وأن التخريجات الشرعية لفقهاء هذه الجماعات تؤكد على أن أي محاولة للإصلاح من الداخل هي تمرد وعدم ثقة ونبذ للطاعة. وأي تجمع داخلي للإصلاح يعتبره قاداتها جيوبا داخلية ومساجد ضرار، أنا في حيرة وقلق شديد على المشروع الحضاري برمته. فهل يجوز تأسيس حسة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر داخل الجماعة الإصلاحية ذاتها؟

ما من ريب أن بعض الحركات الإسلامية - وليس كلها- تعاني من الأمراض التي وصفتها فأحسنّت التوصيف. وأخطر ما هنالك غياب الشفافية والرقابة، وثقافة المداينة والطاعة العمياء،

الحركة الإسلامية
الداخلية

والسكوت على القصور القيادي والأدائي، خوفا من الاتهام بشق الصف وبذر الفتنة. لكن البيعة قبل أن تكون مع الحركة، هي بيعة مع الله ﷻ، وهي تتأسس على الصدق مع الله تعالى أولا، ثم مع الناس بعد ذلك، والتقييد بوصية النبي ﷺ لأبي ذر ﷺ بـ"قول الحق وإن كان مرا" (أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: "رواه الطبراني في الصغير، والكبير بنحوه... ورجاله رجال الصحيح غير سلام أبي المنذر، وهو ثقة، ورواه البزار") وتسمية الأخطاء بأسمائها دون موارد، وخصوصا أخطاء القادة والأكابر الذين هم محل القدوة والأسوة. وأنا أرى أن المشكلة تتجاذبها جوانب فقهية وفكرية عديدة:

أما من الناحية الفقهية، فإن فقهننا السياسي ضعيف جدا، ضاعت فيه الأولويات الشرعية، واندرست رسوم المبادئ السياسية الإسلامية. ولذا تجد بيننا من يتورع عن الوقوع في أمور خلافية بسيطة جدا بالميزان الشرعي، لكنه لا يتورع عن ارتكاب موبقات سياسية بالمعيار الشرعي، مثل فرض نفسه قائدا على قوم وهم له كارهون، رغم أن النبي ﷺ عدّ من أشد الناس عذابا يوم القيامة "إمام قوم وهم له كارهون" (رواه الترمذي وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر)، ولفظ "الإمام" في الاصطلاح النبوي ليس إمام الصلاة فقط، بل القائد

السياسي والعسكري كذلك، ومثل تولية شخص على قوم وهو يجد أصلح منه، وهو ما اعتبره النبي ﷺ "خيانة لله ورسوله"، فقال ﷺ: "من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله" وفي رواية: "من قلد رجلاً عملاً على عصابة، وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين" (رواه الحاكم).

ومن الناحية الفكرية لا تزال ثقافة الإسلاميين الإدارية والقيادية متخلفة جداً، وكأنهم لم يسمعوا شيئاً عن ثورة العلوم السياسية والإدارية المعاصرة، وهي ثورة غدت العقل البشري بنظريات وإنجازات هائلة. وقد قاد ذلك التخلف إلى تضخم جانب العمل السري - رغم أنه من باب الضرورات والاستثناء، ولا حاجة إليه في أكثر الحالات- على جوانب العمل العلني المفتوح. كما أدى إلى مساوئ كثيرة في الإجراءات والآليات القيادية والتنظيمية. أعتقد أن واجبنا في مثل ظروفك هو التمسك بالجماعة، مع الإصرار على المصارحة والمناصحة. ومع كثرة الناصحين وجرأتهم في قول الحق -دون إثارة شقاق- تصبح المكاشفة والنقد جزءاً من ثقافة الحركة، وأمرًا معتاداً كما هو المفترض أصلاً.

* هل ترى أن الجوانب التربوية في الحركات الإسلامية في عصر الثورة الإلكترونية لا زالت ملائمة للمستجدات؟ وهل لا زالت الصيغ التربوية التقليدية مجدية أم يتعين استبدالها؟ وما هي البدائل المطروحة في وجهة نظركم؟

ليس أمام الحركات الإسلامية خيار في عصر الإنترنت سوى الانفتاح التربوي والفكري، ومواكبة كل جديد، وإلا تجاوزتها حركة التاريخ. والحمد لله، أن الفرد العامل لم يعد يحتاج إلى قنوات سرية مغلقة لتلقي فكره - وهي طريقة غذت الروح الحزبية والمشيخية في الحركة- بل أصبحت كل الأفكار في متناول يده، شاعت قيادته أم أبت. وذلك فتح مبين في عالم الأفكار سيغير خارطة العقول والوقائع نحو الأفضل بإذن الله. وقد نشرت على موقع "الجزيرة نت" مقالا مطولا عن "الإنترنت.. ثورة الفقراء في عصر التواصل" أنصح من يريد التوسع بالرجوع إليه.

* لا أحد يشك في أن حركة "الإخوان المسلمين" هي الجماعة الأم.. وبعد التغيير الذي حدث بعد ظهور تنظيم ٦٥ في مصر وكان من نتائجه ظهور الجماعة الإسلامية في مصر والسرورية في الخليج واليمن، ما هي العلاقة بين تنظيم ٦٥ والسرورية والجماعة الإسلامية؟ وهل هناك محاولات للعمل المشترك ولو جزئيا بين التيارات المذكورة؟

اسمح لي أن أبدأ أولاً بتوضيح، وهو أنني لا أستخدم مصطلح "السرورية" وما إلى ذلك من أسماء، فأنا أحب دعوة الناس بما ارتضوه لأنفسهم من أسماء، وأكره الإمعان في التصنيف الاصطلاحي الذي يمزق الأمة، من غير خلافات موضوعية حقيقية بين أبنائها، وأؤمن جازماً أن تسمية "المسلمين" فيها كفاية كل راغب، وهي تسمية وردت في الوحي المنزل: ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الحج : ٧٨] ، وليست اصطلاحاً تاريخياً مبتدعاً.. والجماعة التي تسميها "السرورية" لم تتسم بهذا الاسم ولا ارتضته لنفسها حسب علمي.. وأنا أدعوها "السلفية الإصلاحية" كما تحب أن تُدعى، وإن كنت لا أحصر هذه التسمية فيها، حيث أن تيار الإصلاح في السلفية تيار عريض اليوم، لا ينحصر في جماعة واحدة.

بالنسبة لسؤالكم، ليس لدي معلومات موثقة عن صلات فكرية أو تنظيمية بين الجماعات الثلاث التي تكلمت بذكرها. ولا أملك معلومات عن محاولات عمل مشترك بين الجماعات المذكورة.

* يتهم الفكر السلفي بكافة أطرافه بأحداث العنف والإرهاب، فقد جاء على لسان أحد المسؤولين الأمريكيين أن المذهب الحنبلي وراء ذلك في إشارة إلى السعودية، فما رأيكم حول هذه النقطة؟ سمعت الكثير مما سمعتم، وقرأت الكثير عن هذه التفسيرات الأمريكية، وآخرها ما ورد في تقرير لجنة الكونغرس المكلفة

بالتحقيق في أحداث ١١ سبتمبر، ففيه حديث غريب يحاول ربط ما حدث
بأبن تيمية وسيد قطب والإخوان والوهابية.. الخ. وهذه التفسيرات
تبرهن على أن النخبة السياسية الأمريكية لا تمتلك الشجاعة الفكرية
ولا النزاهة الأخلاقية للإقرار بالأسباب السياسية التي قادت إلى
كارثة ١١ سبتمبر، والاعتراف بأخطائها السياسية التي يدفع الشعب
الأمريكي والشعوب الإسلامية ثمنها الفادح اليوم.. وقد تناولت هذا
الموضوع بكثير من التفصيل والتحليل في مقالات بموقع الجزيرة
نت، منها مقال بعنوان: "لماذا فشلت أمريكا في كسب قلوب المسلمين"
وآخر بعنوان: "١١ سبتمبر وأخواتها.. دروس من وراء الجراح".

إن أحداث ١١ سبتمبر المروعة ليست نتاج فكر سلفي ولا
خلفي، بل هي نتاج تراكمات من الإحساس بالفقر والظلم دامت عقودا
من الزمن. وكلما مرت الأيام ازدادت الصورة وضوحا حول الدوافع
وراء ذلك اليوم الدامي. وآخر ذلك ما ورد في تقرير لجنة الكونجرس
عن مروان الشحي أحد الطيارين اللذين ضربا مركز التجارة العالمي.
فقد جاء في التقرير أن صديقا للشحي سأله وهو لا يزال طالبا في
ألمانيا: "لماذا لا أراك ضاحكا أبدا، أنت ولا محمد عطا؟" فأجابته
مروان: "كيف أضحك والناس يموتون في فلسطين؟" (ص ١٦٢ من
التقرير).

* ما هي الخطوات المفيدة في رأيكم للتعاطي مع الشيعة؟ الحوار أم المواجهة؟ أم نتعدى إلى خطوات عملية أكبر، طبقا للعبارة الجميلة: "تعاون فيما اتفقنا عليه، ويعدر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"؟

هنالك رؤيتان للتعامل مع الطوائف الإسلامية الخارجة عن خط جمهور الأمة: رؤية استيعابية إيجابية، ترى الحوار والتقارب والتعاون سبيلا إلى دمج هذه الطوائف في الأمة من جديد. ورؤية تتعامل معهم بمنطق متشنج تصادمي، تعتمد التشهير أكثر من التعليم، والقوة أكثر من الإقناع. والشيعة مسلمون، يصلون إلى قلوبنا ويأكلون ذبيحتنا، فلهم ذمة الله ورسوله، على لسان نبي الله ﷺ، شأن غيرهم من عامة المسلمين. ووقوع المسلم في بدعة أو معصية لا يسقط حقه في النصره والموالاته والأخوة، بل الواجب الشرعي هو منحه حق الأخوة والولاء، مع الحرص على نصحه وهدايته إلى السبيل الأقوم الذي دل عليه الكتاب والسنة، ومساعدته على التخلص من البدعة والمعصية.

وقد ابتليت الأمة المسلمة في عصور انحطاطها بنزعة طائفية مزقت أحشائها، وفتحت الباب لأعدائها. وهي نزعة يشترك فيها الكثيرون من الجمهور ومن الطوائف بكل أسف. ومن أسباب ذلك الخلط بين الوحي والتاريخ، وبين الشخص والمبدأ، وعدم الوعي

بالزمان، والجهل بالخلافات التاريخية التي بدأت في عصر الصحابة ﷺ ولا تزال تلقي بظلالها على الأمة اليوم، والجهل بما عند الطرف الآخر، وتغليب سوء الظن، ومحاكمة السرائر، على منهج البساطة، وإيكال السرائر إلى الله. وقد قدمت في كتابي: "الخلافات السياسية بين الصحابة: رسالة في مكانة الأشخاص ووقسية المبادئ" رؤية لقراءة تلك الخلافات بشكل أقرب إلى التحقيق إن شاء الله، وأبعد عن منطق الجدل والمراء المفرق. وأعرب ما اكتشفته في إعداد ذلك الكتاب، هو الأخطاء الفادحة التي وقع فيها بعض أهل السنة ومنهم علماء أعلام- في تناولهم للخلافات السياسية بين الصحابة، ثم بنوا عليها مفاصلة مع الطوائف الأخرى، رغم أنهم هم المخطئون في النقل أو في التحليل. أما أخطاء الشيعة في هذا المضمار فهي أشهر من أن تذكر.

أعتقد أن منهج الاستيعاب والاكتماب هو الذي برهن التاريخ على نجاحه في التعاطي مع الشيعة وغيرهم من الطوائف. فقد كانت الإسماعيلية - وهي من أشد الطوائف غلوا وبعدا عن الجادة- تحكم مصر والمغرب وبلاداً إسلامية أخرى في يوم من الأيام، ثم تلاشت واندثرت في هذه البلدان، بفضل التغيير الذي حدث في المناخ الفكري والفقهي. ولم تتلاش تحت حد السيف أو جدل المتجادلين. وفي ذلك

عبرة لنا اليوم. أما أسلوب التكفير والعزل السائد الآن فهو يقوي انغلاق أي أقلية على ذاتها، وتشبثها بما في يدها من بدع وانحراف. كما أنه يعمق الجرح، ويوسع الشرخ في صف الأمة في ظروف الطوارئ التي تعيشها اليوم، وفي ذلك خذلان للأمة، وتفريط في قضاياها الكبرى. واجب الحركة الإسلامية هو لَمّ الشمل وجمع الكلمة، وتعليم المسلمين سنة وشيعة الحديث في خلافاتهم دون تشنج، حديث الأخ إلى أخيه.

فإذا أخذنا موضوع الشيعة في سياق بعض الدول المسلمة تخصيصاً، فإن الأمر أشبه ما يكون بالبركان، لأن الطائفية هناك باب واسع إذا لم يغلقه الحكماء، فإن القوى الدولية الطامعة ستستغله أسوأ استغلال، وربما سولت لها نفسها تمزيق تلك الدول، ووضع اليد على ثرواتها، تحت شعار حماية الأقليات وصيانة حقوق الإنسان. والأمر كله يتوقف على حسن إدراكنا لحالة الطوارئ التي تعيشها الأمة، والتحرر من الفكر الإقصائي، وتغليب أسلوب الحكمة والاكتساب والاستيعاب، على أسلوب الجدل والتمزيق والتفريق.

* هل تملك الحركات الإسلامية المعاصرة وخاصة جماعة الإخوان المسلمين مشروعاً حقيقياً لحل أزمات الأمة لتتمكن من إقناع الناس بأهليتها كبديل؟

الحركات الإسلامية هي أمثل البدائل، ولكنها ليست بديلا مثاليا، إذ لا مثاليات في الحياة السياسية والاجتماعية، بل تسديد ومقاربة واجتهاد يخطئ ويصيب. وبعض هذه الحركات أنضج تجربة، وأحسن خبرة، وأوضح تصورا من البعض الآخر. وبعضها يمتلك مشروعا واضحا ويعرف ماذا يريد وكيف يريده، وبعضها يعرف ما لا يريد أكثر مما يعرف ما يريد. وكلها تعاني من نقص في الثقافة العملية، أو "الفكر الفني الذي يعجل بحركة التاريخ" كما يدعوه مالك ابن نبي رحمه الله، والمقصود به حسن التنظيم والتخطيط وسلامة البناء الإداري والقيادي. وفي كل الحركات الإسلامية خير وبركة، فهي مشروع أمة لا تزال تحاول القيام من عثرتها التاريخية. ولهذه الحركات الفضل في حمل الهم، وإن لم تنجح بعد في تحقيق الغايات المبتغاة. وهي بحاجة إلى أكثر من إقناع الناس، إنها تحتاج إلى الالتحام بالناس، وأن تكون من الناس والناس منها. فهذا هو سبيلها الوحيد لقيادة الأمة.

وأهم ما تحتاجه الحركات الإسلامية اليوم، ومن ضمنها حركة الإخوان المسلمين، هو إدراك الظرف التاريخي الدقيق والانتقالي الذي تعيشه الأمة اليوم، فإن هي بادرت إلى تدارك القصور في بنيتها وقيادتها وأدائها، وعلاقتها بالدولة والمجتمع والعالم، فستتحقق لها

الريادة، وإلا فإن الأمة بدأت التحرك، ولن تنتظر أحدا. وقد بدأ يساورني شك في أن بعض الحركات الإسلامية العريضة سيطويها النسيان، بعد أن فشلت في مواكبة حركة الأمة، ولعل في ذلك خير: ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨].

* نسمع في الأوساط الدعوية بمن يدعون بالسلفية، حيث إنهم يترصدون لشباب الصحوة كل مرصد، وخاصة في المملكة العربية السعودية، وقد أوقفوا وسائل الدعوة وقذفوا شباب الصحوة بأنهم مختلون عقدياً، وأحبطوا كثيراً من المخيمات والأنشطة الدعوية بحكم نفوذهم. السؤال هل يمكن التقارب معهم والتفاهم في وجهات النظر، أم هذا يضيع الوقت الدعوي ويؤجل عملية البناء؟

أرجو من الأخ السائل ومن قراء هذا الحوار الرجوع إلى مقالي عن "مخاض الفكر السلفي" على موقع "الفقه السياسي" وغيره للحصول على رؤيتي لهذا الأمر بشيء من التفصيل. وعموماً فإن ما يحتاج السلفيون فهمه اليوم هو أن المدرسة السلفية جزء من الأمة، وليست الأمة بأسرها، وأن الفكر السلفي محاولة لاتباع السنة، وليس السنة المعصومة. وأن ما يتسم به السلفيون أحيانا من نزعة سلطوية، وغرام بالجدل والمناظرة، وجفاء في التعاطي مع أهل الملة من

الطوائف الأخرى.. هو آخر ما تحتاجه الأمة اليوم في ظروف الطوارئ الراهنة. كما أن صياغة فروع الدين صياغة اعتقادية، كما يفعل الكثير من السلفيين، فيه خطأ وخط منهي كبير. وأنا لا أرى الصورة قائمة كما يراها البعض، بل أعتقد أن الفكر السلفي في السعودية بالذات يعيش حالة مخاض إيجابي اليوم، سيخرج منه أكثر انفتاحا على الأمة، وأعمق استيعابا لمقتضيات الدين في الزمن الحاضر. والسعودية من البلدان التي تعيش اليوم ثورة فكرية واجتماعية عميقة. وفي المطارحات الفكرية الدائرة الآن في السعودية كثير من الحيوية والجدية، لا يوجد في أكثر الدول العربية. كما أن الضغط الخارجي والمخاض الداخلي يتعاضدان على دفع الأمور إلى شيء من الحرية الفكرية والتعددية الفكرية التي لم تكن معهودة من قبل في ظل الصرامة المذهبية التي فرضتها المدرسة السلفية، وهو ما يبشر بخير كثير إن شاء الله. وفي كل الأحوال فلا خيار أمام مكونات الأمة غير التقارب والتفاهم، بل الأخوة والمحبة، سواء كانوا سلفيين أو "خلفيين".

* هل أدى العمل الإسلامي السلفي دوره في انتهاج طريق السلف حقا في بناء المجتمع السلفي الحق الذي ينتهج منهج رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً ومعاملة في كافة مناحي الحياة في وسط المجتمعات

الإسلامية رغم ما تحت يده من إمكانيات مادية وغيرها في كثير من الدول الإسلامية؟

لا أعتقد أن "انتهاج طريق السلف" معيار منهجي دقيق، وتلك مشكلة الفكر السلفي عموماً، فهو يخلط ضمناً بين الوحي والتاريخ في المرجعية. وإلا فأى سلف نتبع؟ علماً بأن من السلف - حتى في عصر الصحابة ﷺ - من يصلح الاقتداء به ومن لا يصلح الاقتداء به. فأى صحابي أتبع؟ هل أتبع عمار بن ياسر أم أتبع قاتله أبا الغادية، وكلاهما صحابي بالمعنى الاصطلاحي. هل أتبع الخلفاء الراشدين من الصحابة أم أتبع الملوك من الصحابة؟ أعتقد أن الفكر الإسلامي بحاجة إلى التدقيق في اصطلاحاته، وتجريد مرجعيته، وحصرها في الوحي المعصوم، وبعدها يبدأ التقييم الصحيح. أما محاكمة الناس باتباع غير المعصوم فليس معياراً صحيحاً للتقييم. وإنما يكون اتباع الأشخاص تبعاً لاتباع الوحي، مثل أمره ﷺ بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده.

* نشر لك مقال بعنوان: "ملاح المأزق القيادي لدى الإخوان المسلمين" وقد علق عليه الأستاذ مصطفى الطحان. لن أسأل هنا عن ما كتب في المقال وعن الرد.. ولكن سؤالي هو ما هو هدفك من ممارسة هذا النوع من الكتابة؟ هل هو مجرد ممارسة للنقد؟ أم محاولة إصلاح؟ وهل هذه هي الطريقة المثلى

للإصلاح؟ لماذا لا تحاول كتابة حلول عملية لما تظن أنه غير صحيح حتى نتحول إلى النقد البناء والعملي؟ ألا تعتقد أن هذا النوع من المقالات سواء على الإخوان أو غيرهم لن يقدم أو يؤخر؟

كتابتي عن حركة الإخوان المسلمين لا تنطلق من موقف فكري مناهض، أو انطباع سلبي عن مبادئ الحركة وأهدافها، فأنا ممن يتشرفون بالانتماء إلى فكر حركة الإخوان المسلمين، كما يعرف الأستاذ مصطفى الطحان وغيره من الإخوان. ولكني أتمسك بالولاء لكل مسلم، وخصوصا العاملين لنصرة الدين، سواء كانوا سلفيين أو خلفيين، سنة أو شيعة.. ولا يمنعني الانتماء لأي حركة أو العمل معها من النقد الناصح، حتى ولو ضاق بذلك النقد من لم يعتادوه. ومأخذي الرئيسي على حركة الإخوان هو تخلف ثقافتها العملية عن مبادئها الإسلامية، وعلى هذا التخلف ينصب نقدي لها، لا على المبادئ والأسس.

أما لماذا لم أقدم حولا عملية، فأعتقد أن الحلول العملية مفهومة من ثنايا المقال المذكور وغيره، كما أن الصنعة الإعلامية لها حدودها الكمية وضوابطها المهنية، فهناك فرق بين مقال صحفي عام موجه للجميع، وبين نقاش داخلي خاص لإصلاح شؤون حركة أو حزب سياسي.

وأخيرا فأنا لست أوافق على أن الإسرار بالنصح هو الحل الأمثل، خصوصا إذا كان الأمر يتعلق بشأن عام، وكانت سبل النصح غير سالكة، وأصوات النصح غير مسموعة، كما هو الحال اليوم - بكل أسف- في بعض الحركات الإسلامية.

* وقع التنظيم السروري في أكثر من تناقض فكري وفقهي وسياسي خلال الثلاثين سنة الماضية، فما هو تفسيركم لهذه التناقضات؟ وهل هي مشكلة منهجية؟

أنا لا أستخدم اسم "السرورية"، وأحب تسمية الناس بما ارتضوه لأنفسهم من أسماء. أما التناقضات التي أشرت إليها فليس لدي اطلاع كاف عليها. وهي عموما مما لا يسلم منه تيار إسلامي أو إصلاحية. فالأمة تعيش ظروف انحطاط في الفكر وفي السياسة وفي كل جوانب الحياة، وتحاول النهوض من عثرتها، ولا غرابة أن وقع تناقض واضطراب في مسيرتها، حتى تبلغ الأشد. أسأل الله أن يرشد الكل لكل خير.

* تابعا لكم أكثر من مقال حول السعودية ... ما هو سبب متابعتكم للأحداث في السعودية أكثر من غيرها؟ هل تعتقد أن السعودية ستكون مسرحا لأحداث جليلة أم ماذا؟

إن اهتمامي بالسعودية ينبع من سببين، أحدهما استراتيجي وآخر عاطفي. أما الاستراتيجي فلأن ما يحدث في السعودية اليوم

مفتاح - من وجهة نظري - لكثير من الأحداث الجارية والآتية في الأمة، وفي علاقة الأمة بالغير. وأما السبب العاطفي فهو التعلق - سمّه عشقا إن شئت - بكل شبر من تلك البلاد المباركة. وأقترح عليكم وعلى قراء هذا الحوار مطالعة ديواني "أغاني الحجاز" خصوصا قصيدتا "جراح الروح" و"دموع الندى" لفهم هذا الجانب العاطفي من تعلقي بتلك الأرض الطيبة، وحبّي لأهلها، واهتمامي بشأنها.

* يلاحظ الناظر لأحوال وواقع الأمة في جميع شؤون الحياة البون الشاسع بين ما تنادي به الصحوة الإسلامية والواقع المتردي فكريا وأخلاقيا وسياسيا واقتصاديا... والسؤال الذي حيرني وأقلقتني في نفس الوقت: أين ما ناديت وتنادي به الصحوة من مبادئ جميلة، وهي في الأعم الأغلب مبادئ الدين الذي يلائم الفطرة ولا يتعارض معها، والذي هو الأمل لهذه البشرية الحائرة التائهة؟ هل ترون أن الصحوة ورجال الصحوة بكل أطيافها لازالوا يسرون سير السلحفاة بمشروعهم الحضاري؟

تعبير "سير السلحفاة" تعبیر دقيق عن حالة مشاريعنا الحضارية، فقد بدأت الدول الإسلامية "عصر النهضة" منذ مائتي عام، وهي لا تزال تراوح مكانها، بل هي اليوم تعود إلى القرن التاسع عشر، عصر الاستعمار المباشر، والتقسام الدولي لأرضها

وثروتها. ومن أهم أسباب ذلك أن الصحوة الإسلامية، ألحت كثيرا على المبادئ المجردة، وأغفلت المناهج العملية التي تخدم تلك المبادئ، بينما اتجه اليابانيون-مثلا- إلى التكنولوجيا، فخرجوا من عصور الظلام السياسي والاقتصادي في لحظة البصر. إنه تخلف الثقافة العملية مرة أخرى، ومع هذا التخلف لا يجدي الإلحاح على المبادئ الجميلة شيئا، بل يتحول إلى استتزاز للذات و"علم كلام" نظري. إن أمتنا تعاني من مشكلات في الواقع الراهن، ومشكلات في البدائل المطروحة، وذلك مؤشر على تركيب الأزمة وتعقيدها، وضرورة الجهد المضاعف للتغلب عليها. لكن أملنا في الله كبير .

* هل تعتقد أن جماعة الإخوان بطريقتها وهي سلوك السياسة ومحاولتها دخول البرلمان هو الطريق لإقامة شرع الله؟ أنا أعرف أنه "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" وقد رفض الرسول ﷺ سلوك الطريق السياسي عندما عرض عليه أن تكون له الزعامة من المشركين حين قالوا له: "إن كنت تريد ملكا ملكناك علينا"، و إنما أراد أن تكون دعوته خالصة من أي شوائب. كما أن جميع التجارب التي سبقت قد فشلت بعدما سلك أصحابها هذا الطريق في التغيير. معذرة.. أريد منك أن تعرفني هل هذا السبيل موافق للشرع، وهل هو الطريق الصحيح؟

"لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" ليس نص وحي، بل حكمة قالها الإمام مالك رحمه الله، وهو لم يقصد بها الأساليب والوسائل، بل الأسس والمبادئ. ومن مساوئ تفكيرنا اليوم الخلط بين هذه وتلك. أما "سلوك السياسة" فليس مما يعاب على الإخوان أو غيرهم، فالاهتمام بالسياسة والسعي إلى إصلاح الشأن العام جزء من الواجب الشرعي على كل مسلم. والإمام مالك الذي قال هذه القولة كان سياسياً: فقد وقف في وجه حكام السوء، وطعن في بيعتهم المأخوذة بالإكراه، وتحمل ثمن ذلك ضرباً وتعذيباً حتى انخلعت كتفه. أعتقد أن وسائل التغيير لا ينبغي الحكم عليها كما مسبقاً، بل الوسيلة بحسب مقصدها. وقد يكون دخول البرلمان هو الوسيلة المناسبة في مكان أو زمان ما، لكنه غير مناسب في مكان أو زمان آخر. أما قياس فعل النبي ﷺ مع المشركين مع ما تفعله الحركة الإسلامية مع المسلمين فهو قياس مع الفارق، بل مع الكثير من الفروق. فقريش عرضت ملكاً مقابل التخلي عن رسالة الإسلام، وهو ما لن يقبله مسلم عادي، فضلاً عن نبي مرسل يعيش ويموت لدعوته. والنبي ﷺ لم يرفض قيادة الدولة حينما كان ذلك في خدمة الإسلام، بحجة "بقاء دعوته خالصة من الشوائب"، بل قاد الدولة بجدارة، وسير الجيوش الظافرة، وعين القضاة والأمراء، وجمع الزكاة والصدقات،

وراسل ملوك الأرض. أليس هذا سلوكا سياسيا؟ وأخيرا فإن الحكم على التجارب الحالية حكما نهائيا لا يزال سابقا لأوانه، وهي لا تخلو من أخطاء وخطايا، لكن وجود أخطاء في التطبيق لا يطعن في سلامة الفكرة. والإخوان جزء من الأمة يحتاجون إلى إنضاج فكرهم، وتعميق تجربتهم. وهم فاعلون ذلك إن شاء الله.

* هل تملك الصحوة الإسلامية الآن مقومات تجعلها تنتقل نقلة قوية لقيادة الأمة؟ لا سيما أن هناك من أبناء الصحوة من لا يزال همه احتكار الساحة لجماعته، وتهميش الآخرين.

تعيش الأمة اليوم نقلة نوعية، وليس لدى الحركات الإسلامية الحالية من خيار سوى مواكبة هذه النقطة، وشحن المناهج والوسائل للتعاطي مع التحديات والتحويلات، أو البقاء على هامش التاريخ. وأول شروط المواكبة هو حمل همّ الأمة والملة فهما الغاية والمقصد، وتجاوز همّ الحركة، لأنها مجرد وسيلة وعرض.

إن حركة التاريخ لا تنتظر أحدا، ولا تجامل أحدا، مهما حمل من مبادئ زاهية. فالمبادئ ليست هي المحرك الوحيد لحياة البشر، وإنما لا بد أن تتزوج مع خطط ووسائل فعالة، وإلا تحولت إلى فلسفات نظرية، يزجي الناس أوقاتهم بمضغها، دون أن تكون لها روح أو فاعلية.

وأنا متفائل بأن الحركات الإسلامية الحالية قادرة على تغيير نفسها، وقيادة مجتمعتها. ولكني متأكد أن الأمة قد بدأت بالفعل مسار التغيير، وأن التغيير آت بهذه الحركات أو غيرها. وكل من يجعل همه الأهم هو جماعته أو طائفته ستلفظه الأمة وتتجاوزها في حركتها الدائبة.

* ماذا يقصد بالصحة الإسلامية التي من شأنها أن تنتقل من الحركة إلى الأمة؟ ماذا يمكن أن يقدم أبناء الصحة وهم نزع من الناس ليسوا مجتمعين على شيء؟ ماذا يجب على علماء الصحة الإسلامية وروادها تجاه هذه النقطة؟ وماذا يجب على المنتسبين للصحة كذلك؟

المقصود بالصحة غالبا هو الحركات الإسلامية ذات المشروع السياسي، وإن كان هذا الاصطلاح يشمل غيرها. أما ماذا يمكن أن تقدم هذه الصحة في ظل التمزق والتفرق، فهو قليل. لذا نلح هنا على أن فقه الإجماع والوحدة، وقبول الخلاف والتنوع، واعتماد الإقناع والتعليم بديلا عن الإكراه والتشهير.. أمور ضرورية لكل من يحمل هم الأمة. وواجب العلماء والرواد هو تبصير الأمة بمعاني التوحد وأدب الخلاف، والنأي بأنفسهم عن التوظيف في معارك الطائفية والتفريق. إن الفكر الطائفي من أخطر ما تعانيه أمتنا اليوم،

وقد نشرت مقالا عن "الاحتلال والمسألة الطائفية في العراق" على موقع الجزيرة نت، يتناول مخاطر هذا الفكر في السياق السياسي والاستراتيجي العراقي. فأرجو الرجوع إليه.

* ألا يمكن الحديث عن مرحلة ما بعد الجماعات، باعتبار أن التحديات والمسارات المستقبلية للأمة تتجاوز ضيق أفق الجماعات، ولعل مدلول "ما بعد" قد ينطبق حتى على فصائل العمل الإسلامي، بعدما اجتاح المدارس والمذاهب الأدبية والثقافية؟

إذا كان المقصود الجماعات المتمحورة حول ذاتها، المفخرة برجالها وأشكالها، المتعالية على عموم أبناء الأمة، المغرمة بالجدل والمناظرات، السخية في توزيع الاتهامات.. فهذه لا مستقبل لها، فقد تعبت الأمة من هذا النمط من الجماعات، وتراكت تحديات كثيرة لا تستطيع هذه الجماعات التعاطي معها برواها الضيقة وأساليبها القاصرة. وإذا كان المقصود الجماعات التي تجمع الشمل، وتحذب على الأمة بكل مذاهبها ومشاربها، وتتعامل بالحسنى مع الجميع وترحمهم، وتتفهم العالم من حولها.. فهذه ستبقى، بل هي طلائع التغيير والبناء القادم بإذن الله.

* كيف ترى مستقبل الحركة الإسلامية في اليمن؟

الحركة الإسلامية في اليمن من أعرق الحركات الإسلامية تاريخاً، وأوسعها قاعدة، وأوفرها وسائل بالنسبة إلى مجتمعها. وهي تعمل في مجتمع عميق التدين، نقى الفطرة، لم تستقر فيه جيوش الاستعمار، ولم يتلوث بتشوه في هويته وثقافته كما حدث لشعوب مسلمة أخرى. ومستقبل الحركة يتوقف على حسن توظيفها لهذه العوامل في خدمة مشروعها المجتمعي. وربما يكون ما تحتاجه الحركة اليمنية - شأنها شأن حركات أخرى في الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية- هو تجاوز منطق الوصاية والحماية والخوف على الهوية، إلى منطق التجديد والفاعلية والانفتاح. فمنطق الحماية السائد إذا تم التغالي فيه يتحول قيذاً على التغيير. إنه يحافظ على بعض الخير الموجود، مشوباً بشائبات التقاليد، دون أن يدفعه إلى الأحسن والأفضل. ولدى الحركة الإسلامية في اليمن تراث غني من فكر الإصلاح والانفتاح في النصف الأول من القرن العشرين، حيث كان الهم الأهم لدى إصلاحيي اليمن آنذاك هو إشكالية النهضة، ولم يكن الخوف على الهوية والتمحور حول الذات سائداً عندهم.

* يجد الناظر في حال الحكام العرب أن الغالبية العظمى منهم قد عاصر بضعة حكام لأي دولة أخرى غير عربية!! بل لا أمل

حتى لمن هو من حزب الرئيس المقربين أن يحل محله إلا أن يأتي ملك الموت أو يقضي الله أمرا ما!! والسؤال ماذا يعمل الدعاة والمصلحون لتغيير قناعات أولئك الحاكمين الجائمين على الصدور، إذا كانت الانقلابات وغيرها محرمة وليست مثمرة لدينا كمسلمين؟

ما من ريب أن الاستبداد هو جذر الشر وموطن الداء في المجتمعات الإسلامية الحالية. لكن المشكلة أن بعض الدعاة والمصلحين لا يزال يسير على نهج الحكام العرب في حب القيادة والتشبث بها مدى الحياة. وما لم نغير أخلاقنا السياسية وممارساتنا القيادية داخل الحركات والمؤسسات الإسلامية، فليس من حقنا - في اعتقادي - أن نعظ الحكام بالرحيل. إن الأمر أكبر من الحكام والنظم، إنه ثقافة سياسية مريضة، تشمل الحاكم والمحكوم، لا بد من تغييرها في الأنفس قبل أن تتغير في الوقائع.

أما الحكام فمن التجارب الناجحة في التعاطي معهم ما فعلته بعض الشعوب في أمريكا الجنوبية، وهو عرض حصانة عليهم من الملاحقة القانونية على جرائم الماضي، مقابل توقفهم عن إفساد المستقبل وتخليبهم عن السلطة. وهناك طرائق أخرى للتغيير كثيرة. لكن من عجزوا عن تغيير أنفسهم لن يستطيعوا تغيير مجتمعهم في

نهاية المطاف. وذلك ما يحتاج الإسلاميون إلى استيعابه اليوم. أما الانقلابات فهي في الغالب تبديل للأشخاص، لا تغييراً للإجراءات. وما تحتاجه الأمة هو إجراءات جديدة وقواعد جديدة في بناء السلطة. ولا يعني هذا تقليلاً من شأن الجيوش ودورها السياسي المحتمل، فلو أن الجيوش تحيزت للشعب وتدخلت لإرساء الديمقراطية، وبناء سلطة شرعية، دون مطامح سياسية، كما فعل المشير عبد الرحمن سوار الذهب بكل شجاعة وتجرد، فلا ريب أن هذا سيكون عملاً مطلوباً ومرغوباً.

* هل الإخفاقات التاريخية التي تعرضت لها جماعة "الإخوان المسلمين" في بعض الدول العربية مجرد محنة وابتلاء كما يلح عليه العقل التربوي الرسمي في الجماعة؟ أم أن هناك مسؤولية إنسانية فيما جرى ويجري حتى الآن؟

إن تفسير إخفاقات الحركة الإسلامية -أي حركة- بأنها مجرد محنة وابتلاء لا يفسر الظواهر المركبة التي نعيشها، بل يغذي روح الجبرية والقيود في عقول أبناء الحركة. والذين يدرسون علم أصول الفقه يدركون ضرورة التفريق بين "الخطاب الشرعي" و"الخطاب القدرى"، فقد يكون اضطرار الحركة ابتلاء ومحنة من الناحية القدرية، لكن ذلك لا يعفي الحركة من مسؤوليتها من الناحية الشرعية التكليفية.

ولو أن المسلمين الأوائل جلسوا ليكون شهداءهم في أحد، ويتحدثون عن مآثرهم، ولعن من قتلهم من المشركين إلى ما لا نهاية.. لما استطاعوا تدارك المصيبة التي حلت بهم في أحد، والانطلاق إلى انتصارات جديدة. لقد علمهم الله ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] فتعلموا الدرس.

* نرصد منذ ما يزيد على الثلاثة أعوام تنامي تيار إصلاحي تجديدي داخل جماعة الإخوان المسلمين بمصر. هل تتابعون هذا الأمر وما رأيكم فيه؟ وهل من الممكن أن يتم الإصلاح من الداخل؟ وما رأيكم في مقولات هذا التيار الذي يتبنى الكثير من أدبياتكم المنشورة؟

أنا أتابع باهتمام كبير تيار الإصلاح والتجديد داخل حركة الإخوان المسلمين بمصر، ولدي صلات فكرية وشخصية ببعض شخصياته. وأستبشر كثيرا بجهود هذا التيار، الذي يقوده رجال أوعى بلعبة السياسة، وأعمق فهما للتحديات التي تواجهها الأمة. لكن هذا التيار لم يأخذ مداه بعد في جسم الحركة، ولا يزال فكر التصلب والجبرية والطاعة غير المتبصرة هو المسيطر. ولعل تيار التجديد داخل حركة الإخوان بمصر يحتاج إلى مزيد من الشجاعة الفكرية، والمجاهرة بأطروحاته الإصلاحية على الملأ، حتى تصبح ملكا للجميع، ويلتف حولها الناس من داخل الحركة وخارجها، فذلك نكتيك مهم أحيانا، حينما تكون القيادة متصلبة لا تقبل من الإصلاح إلا ما

أصبح قضية عامة ضاغطة. كما أن سراديب السرية ليست محضنا صحيا للأفكار الإصلاحية.

ولست أدري إن كان حقا ذلك التيار يتبنى الكثير مما كتبته في نقد الحركة ومعضلاتها، فإن كان ذلك كذلك، فهو شرف لا أستحقه.

* هل أصبح تنظيم "الإخوان المسلمين" بنفبه للمبدعين وقمعه للمتميزين يعد أكبر حركة إسلامية طاردة للمفكرين والمتميزين؟ ماذا دهامهم في مؤسسة التربية الإخوانية؟

مشكلة الكتاب والمفكرين مع الحركات السياسية مشكلة مركبة، فالكتاب بطبيعته يحتاج مستوى من حرية التفكير والتعبير لا تقبله موازنات الحركة السياسية واعتباراتها التنظيمية. والحركة أحيانا تضيق على مفكريها وكتابها، وتلزمهم بما لا يلزم بالنسبة لمن هم في وضعهم. وحل هذا الأمر يكون بمزيد من التواضع من طرف المبدعين والكتاب، دون تنازل عن حرية الرأي والنشر التي هي جوهر وجودهم ورسالتهم، ومزيد من المرونة من طرف الحركة، والفصل بين الرأي الشخصي الذي يكون الأصل فيه الحرية المطلقة، والمواقف الرسمية التي يحتاج الجميع التزام بعض الضوابط بشأنها. لا أعتقد أن حركة الإخوان المسلمين نجحت في هذه المعادلة حتى الآن، ومثلها حركات أخرى كثيرة. لكن المحاولة واجبة والأمل قائم.

* ما هو رأيكم في "أبجديات المشروع الحضاري السوري"، الذي تقدمت به قيادة جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، على أساس أن هذا هو فكر ورؤية الجماعة للدولة السورية المنشودة؟ وما رأيكم حول رؤية المشروع للدولة الحديثة؟ وهل نستطيع أن نعتبر هذا مشروعا حضاريا تقدمه جماعة إخوانية تريد تطبيق الشريعة الإسلامية؟

ما قرأته واطلعت عليه ليس مشروعا مفصلا، بل مقدمة من بضع صفحات، مع وعد بنشر "المشروع الإسلامي الحضاري لسورية المستقبل" بتفصيل. لكن الوثيقة التي اطلعت عليها توحى بأن حركة الإخوان في سورية بدأت تعود -نظريا على الأقل- إلى سابق عهدها أيام الدكتور السباعي من الحيوية السياسية، والانفتاح على مختلف قوى المجتمع، بعد عهد الانكماش والمواجهة الهوجاء غير المدروسة. وفي حديث الوثيقة عن "الدولة الحديثة" لا باعتبارها "دولة إسلامية" بل "إطار وطني جامع يلتقي عليه الجميع" إدراك لمدخل عملي مهم غاب عن بال الإسلاميين عهدا من الزمن، وهو أن الشرعية هي الطريق إلى الشريعة، بمعنى أن إقامة حكم ديمقراطي يحترم إرادة الأمة وحرية الفرد هو السبيل إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، بل هو جزء مهم من هذا التطبيق في أخطر مناحي الحياة وأكثرها إثارة للخلاف، وهو ممارسة السلطة ومصدر شرعيتها. وأعتقد أن هذا الأمر هو الذي ينبغي أن يلح عليه

الإسلاميون في المستقبل: الشرعية أولاً، ثم الشرعية بعد ذلك، وبذلك يجعلون مشروعهم مشروع أمة، لا مشروع طائفة أو حركة. فلن تقام أحكام الشرعية إلا إذا احتضنتها الغالبية من أبناء الشعب، وأصبحت تعبيراً إجرائياً عن إرادة أمة حرة، يلتزم بها جميع السياسيين طوعاً وكرهاً، كما هو شأن الأحكام الدستورية في دول الغرب اليوم.. وللتوسع في موضوع الشرعية والشرعية يمكنكم مراجعة مقالي: "الشرعية قبل الشرعية" على موقع "الجزيرة نت"، ففيه تفصيل لما تم إجماله هنا حول هذا الموضوع.

* صدر كتابكم عن "الحركة الإسلامية السودانية: مدخل إلى فكرها الاستراتيجي والتنظيمي" كان قبل انشطار الحركة السودانية إلى شطرين: المؤتمر الشعبي والمؤتمر الوطني، واحتدام الخلاف بين الترابي وجماعته من جانب، وبين تلامذته وحوارييه السابقين والرئيس البشير من الجانب الآخر.. وقد سمعنا عن تقارب كبير بين تيار الإخوان المسلمين السوداني والفريق البشير وجماعته.. هل هذا صحيح؟ وهل مازلت على ابهارك بتجربة الدكتور الترابي؟

ما تسميه "تيار الإخوان المسلمين السوداني" ظاهرة هامشية جداً في خريطة الصحوة الإسلامية بالسودان، فهو يتألف من عدد محدود من الأفراد الذين انشقوا على الحركة الإسلامية في السودان بعد

تصالحها مع النميري، تقودهم شخصيات من مؤسسي حركة الإخوان، لكن دون امتداد شعبي داخل الحركة أو عامة الشعب. فالتقارب بين هؤلاء الأفراد وبين البشير امتداد - إلى حد بعيد - لمشكلاتهم الشخصية مع التراخي بكل أسف، وإلا فإن البشير لم يصبح أكثر إسلامية مما كان عليه طيلة التسعينات حينما كانوا يعارضونه، بل أظهر من بوادر التراجع عن مشروعه الإسلامي - مناورة أو اقتتاعا - ما يفترض أن يدفع مثلهم إلى النأي عنه، لا القرب منه.

ولا تزال تجربة التراخي الحركية محل إعجاب وتقدير - وليس انبهارا - مني، فهي تجربة انطبعت بطابع الجرأة والإقدام، والخبرة التنظيمية والتخطيطية، والقدرة على المناورة والتكتيك السياسي، وغير ذلك من أوجه الثقافة العملية التي تتقص الإسلاميين اليوم.

أما تجربة التراخي - والإسلاميين السودانيين عموما - في تسيير الدولة، فقد اشتملت على أخطاء وخطايا كبيرة، وكشفت عن قصور وتقصير فاجأ الجميع. وقد انتقدتها نقدا لاذعا في كتابي الذي أشرت إليه، خصوصا في الفصل السابع والخاتمة. وأعتقد أن تجربة الحركة الإسلامية السودانية لا تزال - بصوابها وخطئها - من أثرى التجارب الإسلامية، وأولاها بالتدبر والاعتبار. وليس فشلها دولة مبرر لإنكار نجاحها حركة. فلننا نتوقع من أي حركة إسلامية الكمال، أو النجاح في كل مظاهر عملها وفي كل مراحل تاريخها. بل

نجد نضجا حركيا عند حركة، ونضجا سياسيا عند أخرى، ونضجا فكريا وفقهيا عند ثالثة.. والأصل أن نصحب كل قوم على أحسن ما عندهم، ولا يزهنا في خيرهم ما عندهم من خطأ أو خطأ. وقدما قال الشاعر:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

* هل تعتقد أن عالم اليوم يستوعب تنظيمات أممية مثل "التنظيم الدولي للإخوان المسلمين" بشكله القديم (مرشد وأتباع ومفاهيم ثقة وطاعة وعمل سري داخل قرية الكترونية صغيرة)؟ أم تؤيد تفكيك التنظيم الدولي؟ وكيف يكون تنسيق المواقف في هذه الحالة؟

كتبت عن التنظيم الدولي للإخوان المسلمين بنية وأداء تحليلا مطولا ضمن الفصل السابع من كتابي عن "الحركة الإسلامية في السودان"، ودافعت عن الفكرة القائلة إن تأسيس هذا التنظيم كان خطأ في الأصل، لأن وجود أي تنظيم دولي للحركات الإسلامية بشكل معلن يستفز الحكام المستبدين، ويزيد من خوفهم وعدائهم، وربما أدى إلى تضافر جهودهم ضد هذه الحركات ووقوفهم جبهة واحدة. وقد كان في الاستفادة من تناقضات أولئك الحكام وتلك القوى ثمرات طيبة على الصحة في الماضي. فكانت الصحة إذا ضاق بها بلد انسابت إلى بلدان أخرى، فانبسطت فيها. وفي هجرة الإخوان المصريين

والسوريين إلى بلدان كثيرة إسلامية وغير إسلامية، وما نشره من خير في أركان الأرض، أبلغ دليل على ذلك.

وقد أدرك المجاهد الجزائري "الفضيل الورتلاني" ظاهرة تعاون الحكام في مجال سياسة البقاء، حين اشترك مع "الأحرار اليمينيين" في محاولة للتخلص من الحكم الملكي الفاسد باليمن عام ١٩٤٨، ثم وجد نفسه مشرداً بعد فشل المحاولة، ومكث شهوراً على ظهر سفينة يبحث عن مرسى في أي دولة عربية دون جدوى. وقد كتب الفضيل في إحدى رسائله يصف هذا الأمر، فسماه "استحكام حلقات المجاملة".

ولم يكن الإخوان المصريون الذين أسسوا التنظيم الدولي واحتكروا قيادته حتى الآن، هم الوحيدون في ارتكاب هذا الخطأ، فقد ارتكب الدكتور الترابي نفس الخطأ، حينما أسس "المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي" مطلع التسعينات، وجمع فيه كل المعارضين والمتمردين والمغضوب عليهم في الدول الأخرى على صعيد واحد، ونصب لهم منابر القول، ووفر لهم وسائل الفعل. وهو أمر ورط الدولة السودانية حينها في أكثر من مشكلة ومصيبة، ودل على أن الإسلاميين السودانيين كانوا يفكرون بمنطق الحركة، بعد أن أصبحوا حكام دولة.

لقد كنت دائما من مؤيدي تفكيك التنظيم الدولي، وهو - بالمناسبة- شبه مفكك، فهو لم يكن في يوم من الأيام مؤسسيا، بل كان منطبعا بكل المساوئ التنظيمية التي يمكن تصورها، من اختلال في البناء القيادي، ومركزية مفرطة، واختلال في تمثيل الأقطار.. الخ. ثم جاءت طامة ١١ سبتمبر فجعلت استمرار مثل هذا النوع من التنظيمات العابرة للقارات أمرا لا معنى له في الظروف الدولية الراهنة. أما تنسيق المواقف فهو أمر ميسور اليوم بفضل ثورة الإنترنت، التي أغنت عن الوجود في نفس المكان، كما أغنت عن الهياكل التنظيمية الهرمية العابرة للقارات، كما أوضحت في بحث لي بعنوان: "الإنترنت.. ثورة الفقراء في عصر التواصل".

* هناك شح واضح في إصدارات البحوث والدراسات فيما يتعلق بالسياسة الشرعية والتجارب السياسية للحركات الإسلامية، فبما ترى ما مدى تأثير هذا على مستوى الوعي السياسي لأبناء الحركات السياسية، ودوره في ظهور ممارسات لا تتسق مع دلالات السياسة الشرعية في الإسلام؟

الفقه السياسي من الجوانب التي أصابها ضمور واضح في الحضارة الإسلامية، ويحتاج العقل المسلم إلى إعادة ترتيب أولوياته، وإبراز بعض الجوانب الضامرة في تراثنا. وحتى الكتابات المعاصرة

لا يزال أغلبها تلخيصا لما كتب قديما دون تعميق في التأسيس، أو تجديد في الوعي، أو مواجهة تحديات اليوم بفكر وثاب غير هيباب. وما من ريب أن لذلك أثره على ممارسة الحركات الإسلامية للسياسة داخل صفها الخاص ومجتمعها العام.

* أين العمل المؤسسي في واقع حركة الإخوان المسلمين في السعودية بعد مضي أربعين سنة على إنشائها؟

- يؤسفني أنني لم أطلع حتى الآن على معلومات موثقة عن حركة الإخوان المسلمين في السعودية، تمكنني من الحكم على بنيتها الداخلية وأدائها حكما دقيقا. لذا أستعفي السائل من الإجابة على هذا السؤال. ومن أسباب شح المعلومات هذا أن الحركة - فيما يبدو - لم تجهر بوجودها في العلن بما يكفي، دخولا في المظلة السلفية السائدة في السعودية. وعموما فإن الظاهرة الإسلامية في السعودية تبدو أوسع من أي تصنيف حركي أو سياسي.

* كتبتم كتابات جيدة حول مسألة الصهيونية المسيحية، فهلا أوضحتم لنا ما القصد من هذا المصطلح؟

عرّف الكاتب الأمريكي جورج م. مارسدن في كتابه: "من أجل فهم الأصولية والإنجيلية" الأصولي المسيحي بأنه: "المتدين المسيحي الغاضب". وهذا تعريف يصدق على الصهيوني المسيحي بامتياز، مع

تحديد المغضوب عليه: فالصهيونيون المسيحيون في أمريكا غاضبون على المسلمين لحد المقت، عاشقون لإسرائيل لحد العبادة. (وللتوسع أرجو مطالعة سلسلة المقالات التي نشرناها على موقع مجلة العصر بعنوان: "المسيحية الصهيونية والسياسة الأمريكية" ومقالنا المنشور على الجزيرة نت بنفس العنوان).

* يمسك المعلم بأذن التلميذ ويقرصها بعنف ثم يسأله هل فهمت فيجيب الطفل أستاذه نعم فهمت دون أن يتلفظ بآه واحدة.. ترى هل هذه الصورة المؤذية تكررهما أمريكا اليوم في البلاد العربية.. إنها تريد كل شيء دون أن يكون للعرب أي شيء؟

كان أول رئيس وزراء إسرائيلي - بن جوريون - يقول: "ليس المهم ما يقوله الأغيار (غير اليهود)، إنما المهم هو ما يفعله اليهود". والموقف الأمريكي من القضايا العربية والإسلامية بشكل عام وليد تصور كهذا، فالقادة الأمريكيون يدركون أن ما يقوله القادة العرب غير ما يفعلونه، وما يعلنونه غير ما يضمرونه، وأن لكل منهم ظاهرا وباطنا، منطوقا ومفهوما. فلا عجب إن لم يحسبوا لهم أي حساب. أنا أقول دائما: "إن الموقف العربي هو نقطة الضعف الأساسية في الموقف الأوروبي"، فمواقف قادة الدول العربية لا تمثل خنوعا أمام سياسات جائرة ضد شعوبهم فحسب، بل هي مواقف تتخذل الدول الأخرى التي تريد أن تنتهج مسلكا عدلا في تعاطيها مع قضاياها.

* في علاقتنا مع الغرب مفارقات كبيرة وكثيرة فنحن نشتمهم ومنتوعدهم ولكننا نستلمهم تجربتهم في الديمقراطية وحقوق الإنسان .. ما سر هذه المفارقة؟

الهر في هذه الازدواجية أن الغرب "يفتح متاجره أمام الآخرين أكثر مما يفتح مدارسهم" كما قال الفيلسوف مالك بن نبي. فنحن أمام ظاهرة مزدوجة: هي "الغرب في ذاته" و"الغرب في صلته بنا". أما الغرب في ذاته فلديه بعض القيم التي تستحق الثناء حقاً، وبالذات القيم السياسية التي ضيعها المسلمون منذ منتصف القرن الأول الهجري فضاغوا. وأما الغرب في صلته بنا فالاستعمار عنوانه والاستغلال هدفه. وكما قال لي بروفيسور أمريكي صديق: "المشكلة ليست في أن أمريكا لا تؤمن بحقوق الإنسان، المشكلة في تعريفها للإنسان". فنحن لسنا داخلين في التعريف الغربي للإنسان حتى الآن. والإعلان العالمي لحقوق الإنسان تم إصداره في باريس عام ١٩٤٩ في وقت تمتد المستعمرات الفرنسية على مسافات شاسعة من إفريقيا وآسيا، ويستعبد فيه الفرنسيون شعوب تلك الدول. وتلك هي الازدواجية الأخلاقية في أسمى معانيها!!

أنا لا أستغرب ازدواجية موقفنا من الغرب، لأن الغرب ظاهرة مزدوجة.

* هل تؤيد أن تنتقل بالمتقن من حيز نقد الآخر الى نقد الذات؟

علمنا القرآن الكريم البحث في الذات عن العيوب، وعدم التوصل منها بإلقاء اللوم على الآخرين، والتماس المعاذير في الظروف الخارجية. ففي التعقيب القرآني الجميل على غزوة أحد بين الخالق سبحانه للمسلمين أنهم قصروا فأصيبوا: ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] . وذلك درس بليغ في محاسبة الذات. فرغم ما تواجهه أمتنا من مخاطر خارجية، وتواطؤ وتماؤ على مصيرها، فإن كل ذلك عرض لمرض، وليس هو المرض ذاته.

كان الشاعر الهندي العظيم "طاغور" يقول: "إن الإنجليز لم يحتلونا لأنهم أشرار، بل لأننا ضعفاء". وربما كان في هذا القول مبالغة من شاعر كرمه الغربيون بأول جائزة نوبل في الآداب تُمنح لآسيوي، لكنه قول فيه عبرة. لأن قائله أراد لفت انتباه قومه إلى حقيقة على قدر كبير من الأهمية العملية، وهي أن التغلب على جوانب القصور الذاتي، هو السبيل إلى سد منافذ المطامع الخارجية. فالذي سيحرر الهند من وجهة نظر طاغور هو علاج ضعف الهنود، لا ترطيب قلوب الإنجليز. والذي سيحرر المسلمين اليوم هو قوة المسلمين وليس لعن الأمريكيين.

* صورة العربي والمسلم اليوم في الذاكرة الأمريكية هي حبيسة التمييط الجنسي والنفطي وألف ليلة وليلة والرجل العنيف. كيف يمكن للمقيم المسلم في الغرب أن يحسن من هذه الصورة؟

كتب الصحفي البريطاني روبرت فيسك عن فضيحة سجن أبي غريب في صحيفة "الإنديبننت"، فقال: إن ما حدث للسجناء العراقيين جزء من ثقافة ترجع جذورها إلى أيام الحروب الصليبية، ثقافة ترى أن المسلم شخص قذر وفاجر، وحاقد على المسيحية، وغير جدير بأي عطف إنساني".

تلك هي الصورة النمطية التي لا تزال راسخة في أذهان العديد من الغربيين، تغذيها آلة الإعلام والسينما بكل جديد. وقد قدم الدكتور جاك شاهين أستاذ الإعلام في جامعة كولومبيا الأمريكية دراسة عميقة عن هذا الموضوع في كتابه المعنون: "عربي التلفزيون" The TV Arab ومن أهم مهمات المسلمين في الغرب اليوم -خصوصا في أمريكا- التغلب على هذه الصورة النمطية العدوانية، وتقديم صورة أكثر إنسانية وإشراقا. ولن يكون ذلك إلا بالتفاعل الإيجابي مع المجتمع المضيف، وإسماع الصوت غير ملجج.

لكن الأمر أكثر تعقيدا من مجرد حملة علاقات عامة: فصورة المسلم في الغرب ليست وليدة ما يفعله المسلم فقط، بل هي وليدة ما

يُفعل به أيضا. وهذا الشق الأخير أهم وأقوى في اعتقادي. فالمعادلة ليست: "غير صورة المسلم في الذهن الأمريكي تتغير سياسات أمريكا تجاه العالم الإسلامي"، لكنها: "غير سياسات أمريكا في العالم الإسلامي تتغير صورة المسلم في الذهن الأمريكي".

إنها جدلية الفكر والواقع، وأيهما أعمق أثرا في الآخر. وفي حالتنا هذه أعتقد أن تغيير الواقع هو الذي سيقود إلى تغيير الفكر، لأن العقلية الأمريكية عملية جدا، يؤثر فيها تغير الوقائع على الأرض أكثر مما تؤثر فيها المواعظ والأفكار المجردة.

* ما هو قراءتك لمستقبل السياسة الأمريكية في البلاد العربية؟

هنالك مساران يمكن أن تسلكهما السياسة الأمريكية في البلاد

العربية والإسلامية:

أولهما خيار شمشون: وهو أن تستمر النخبة السياسية الأمريكية في انتهاج سياسات متحيزة تجاه الشعوب العربية والإسلامية، وإعداد العدة لسحقها إذا ما رفعت رأسها بالرفض في أي لحظة. وهذا هو الخيار السائد لدى صناع القرار في واشنطن الآن، لأسباب دينية عميقة، ومصالح دنيوية عديدة. ولو استمر هذا النهج أكثر من خمس سنوات آتيات، فلك أن تتوقع -غير مُبالغٍ- حلول كوارث على الضفتين، يتم فيها انتهاك سيادة العديد من الدول العربية والإسلامية،

واضطراب حياة الرخاء والازدهار الأمريكية، وبداية أفول التجربة الأمريكية برمتها أخلاقيا وماديا.

والثاني خيار التعايش: وهو أن تدرك أمريكا أن الصين واليابان تشتريان نפט العرب بنفس الثمن، دون حاجة إلى قواعد عسكرية في المنطقة، ودون تنصيب "وكلاء" لهما تمقتهم شعوبهم، ودون ربط مصير شعبيهما بأسراب من المهاجرين جاءوا لاستعباد شعب أبي صلب المراس.. وحينها ستجد أمريكا أن مصالحها الاستراتيجية يمكن تحقيقها بتحقيق مصالح الشعوب العربية والإسلامية، وأن صداقة مليار مسلم أجدى لها من عبادة ستة ملايين يهودي.

ورغم أن خيار شمشون هو الذي يترجح على المدى المنظور، فإن خيار التعايش خيار حتمي في المدى البعيد، إذا أريد للبشرية أن تنعم بنعمة الأمن والسلام.

إن التغيير في السياسات الأمريكية تجاه الدول العربية والإسلامية آت لا محالة، لكن السؤال يظل: بأي وجه سيأتي هذا التغيير؟ هل سيتم بناء على وعي الحكماء من الأمريكيين بمخاطر الصدام القادم، أم سيتم بارتفاع ثمن السياسات الأمريكية المتحيزة، حتى يصبح الشعب الأمريكي غير مستعد للاستمرار فيها؟

الخيار الأول خيار أخلاقي، وهو ما نرغب فيه، ونسعى إليه كمسلمين مقيمين في أمريكا، تهمنا مصلحة الشعب الأمريكي كما تهمنا مصلحة الشعوب العربية والإسلامية. لكن الخيار الثاني وارد وعملي، وهو الخيار الذي دفع أغلب الإمبراطوريات الغربية إلى الانسحاب من مستعمراتها، بعدما أصبح ثمن البقاء فيها أعظم من أي ثمرة تجتني منها.

* كيف تنظر إلى وضع المسلمين اليوم بعد أحداث ١١ سبتمبر؟ وما هي قراءتك لمدلولات هذا الحدث؟

كانت هجمات ١١ سبتمبر - بهولها وتأثيراتها العميقة على المسرح العالمي - مفصلا في تاريخ البشرية، وخصوصا في مضمار العلاقة بين أمريكا والعالم الإسلامي، ورغم أن العديد ينظرون بنشأؤم إلى ما خلفه هذا الحدث من آلام، وما فتحه من جراح، وأظهره من ضغائن، فإني متفائل بأن هجمات ١١ سبتمبر وأخواتها - حرب أفغانستان وحرب العراق .. الخ - قد رفعت من مستوى الوعي وعجلت بحركة التاريخ، وكشفت العديد من الحقائق المكونة، وفتحت حوارا جديا حول الصلة المرغوبة في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، وحول الاختلالات الداخلية في الدول العربية والإسلامية، وحول المظالم الخارجية ضد المسلمين.

كما أن هجمات ١١ سبتمبر - في مدلولها الاستراتيجي- انتجت عالما جديدا أهم سماته الحروب غير المتوازية، بديلا عن الحروب التقليدية بين جيشين متقابلين. ففي الحروب غير المتوازية يستطيع فرد أو مجموعة صغيرة إعلان حرب جدية ضد دولة قوية، دون أن تجد تلك الدولة في قوة جيشها ما يقضي على الخصم. وكنت تناولت هذا الموضوع في تحليل منشور على موقع الجزيرة نت، بعنوان: "١١ سبتمبر.. الذكرى والمدلول".

لكن لهجمات ١١ سبتمبر جانبها القاتم المنذر بالشر، وذلك لأنها تحمل في طياتها شرارة صراع شامل بين العالم الإسلامي وبين أميركا، وهو ما يجب على العقلاء من الطرفين تجنبه، لما سيؤدي إليه من كوارث وآلام لا تخدم غير تجار الحروب ومصاصي الدماء. وأنا أعتبر أن دور المسلمين الأمريكيين هو دور رجال الإطفاء. فواجبهم أن يكونوا جسر تفاهم وتعايش بين أمريكا والعالم الإسلامي، ولسانا معبرا عن المظالم التي دفعت إلى هجمات ١١ سبتمبر، وقد تدفع إلى ما هو أدهى منها وأمر. وقد قال نصر بن سيار منذ أمد بعيد:

أرى تحت الرماد وميض نار وأخشى أن يكون له ضرام
إذا لم يطفه عقلاء قومي يكون وقوده جثث وهام
فقلت من التعجب لبيت شعري أيقاظ أمية أم نيام

* أليس بإمكاننا استثمار الأصوات الحرة والعدالة في الغرب، بدلا

من صيغة التعميم التي لا تزال تغلب على بعض المتحدثين؟

أنا ممن يدعون إلى دراسة "الخريطة الإنسانية" لأمريكا، أقصد تركيبة المجتمع، وتنوعها الديني والعرقي والثقافي والسياسي، ودور الدين والمال والإعلام والتجربة التاريخية فيها.. الخ. ففهم الخريطة الإنسانية لأي مجتمع هي التي تعين على حسن التعاطي معه. ولم تعد النظرة السطحية والمعلومات السياحية كافية في هذا المضمار.

ولو أن المسلمين استوعبوا خريطة المجتمع الغربي بشكل عام، والأمريكي بشكل أخص، لوجدوا لهم نصيرا في هذه المجتمعات، من ذوي النزعة الإنسانية الحرة، والنزعة الاجتماعية الطامحة إلى العدل، كما وجدها المسلمون الأوائل في شخص الزعيم القبلي أبي طالب، والملك المسيحي النجاشي، والأعرابي الشاعر معبد بن أبي معبد، والحاخام اليهودي مخيريقي.. الخ .

لكن الأمر يقتضي نظرة إيجابية متفائلة، متحررة من التعميم السهل، مستوعبة للتفاصيل والدقائق. ومرة أخرى أحيل القراء الأفاضل إلى مقال لي في الجزيرة نت بعنوان "المشهد الأمريكي المركب"، ففيه محاولة تحليلية للظاهرة الأمريكية، وتبنيه إلى ضرورة استيعابها، مهما يكن موقفنا منها.

* ما هي مقومات الخطاب الإسلامي الذي يمكن أن يشكل عنصر جذب للمجتمع الغربي والأمريكي تحديداً؟

من أهم مقومات الخطاب الإسلامي الذي قد يجتذب الغربيين أن يكون خطاباً ذا نبرة إنسانية ونزعة روحية، يتسم بالرحابة والعمق والصدق والروح العملية، ويمتاز بشيء من الانفتاح الفكري والفقهى غير المعهود في ديار الإسلام في ظروف انحطاطها الراهن.

ويحتاج هذا الخطاب إلى قدر من الإقدام والتوكل والإيجابية، وحسن الظن بالناس مسلمهم وغير مسلمهم، وعدم القنوط منهم أو الصدود عنهم، والحذر من الانزواء القاتل والاستعلاء الزائف.

ومما يعين على كل ذلك - بعد عون الله ﷻ - التسلح بمعرفة واسعة عن تراث القوم وعقائدهم وملهم ونحلهم، وتبايناتهم الفكرية والدينية، وخلفياتهم الاجتماعية والتاريخية.

* في فيلم (هالو أمريكا) للفنان المصري عادل إمام لفتة إلى أن الجماعات الإسلامية المقيمة في الغرب تتستر على مصالحها وبرامجها التخريبية باسم الدين. كيف تنظر إلى العاملين في بلاد الغرب والدعوة في المجتمع الأمريكي؟

كان الشاعر الفيلسوف محمد إقبال يقول: "إن جفاف المنطق لا يقوى على مقاومة نضرة الشعر". ومن المؤسف أن مواهب فنانينا

وأدبائنا يتم إهدارها بهذه الطريقة، ويتم توظيفها من طرف جهات تدرك أثر الفن وسهولة نفاذه إلى القلوب، للتشكيك في أي عمل إسلامي أو مشروع إسلامي.

إن جهد عادل إمام هذا يعبر عن انهزامية بعض الفنانين العرب، وعدم احترامهم للذات، وهو جزء من الجهد المنهجي المنظم الذي يستخدم الفن لهدم مقومات الذات.

الواقع أن للجاليات المسلمة المقيمة في أمريكا الكثير من الإيجابيات، وهي تمتاز بالجدية وحسن التنظيم والروح العملية، وتقدم خدمة جلية للمسلمين في هذه البلاد، وتناصر قضايا المسلمين في كل أرجاء العالم. وهي لا تخلو من بعض الهنات والزلات، لكن ليس بالشكل الذي يصوره عادل إمام.

* يذكر الأستاذ فهمي هويدي أن التيارات والجماعات الإسلامية في أمريكا نقلت مشاكل بلادها وتصوراتها القاصرة إلى بلاد الغرب. هل تم تحول فكري في الطرح الإسلامي بعد أحداث 11 سبتمبر؟

ملاحظة الأستاذ فهمي هويدي في محلها، فبعض الشقاكات في الجماعات والمنظمات الإسلامية الأمريكية مستجلبية من فكرنا الطائفي السائد في البلاد الإسلامية بكل أسف. فلدينا هنا في أمريكا من يؤمن بضرورة اتباع مذهب فقهي معين، وفرضه على إخوانه، رغم أن المسلمين هنا جاؤوا من خلفيات مذهبية شتى.

كما أن النظرة إلى غير المسلمين والتعاطي معهم لا يزالان يتسمان عند بعضنا بشيء من القصور الفكري والفقهي، متأثراً بفهم غير دقيق لمبدأ الولاء والبراء، ونزعة استعلائية أو انطوائية ينقصها النضج والإيجابية والرسالية.

ولكن أحداث ١١ سبتمبر وأخواتها فرضت على المسلم في الغرب - وقد وضع في دائرة الضوء- أن يعدل من خطابه الفكري والسياسي، وأن يكون أكثر واقعية وإيجابية في التعاطي مع جيرانه من غير المسلمين، وأكثر ابتعاداً عن النزعة الخطابية العاطفية التي لا تقيم للسامعين وزناً.

* كيف تنظرون إلى مستقبل الإسلام في بلاد الغرب والمجتمع الأمريكي؟

يعاني المجتمع الأمريكي من خواء روحي عميق، وحيرة فلسفية مضمّنة، وهو أكثر المجتمعات البشرية انفتاحاً على الجديد وولعاً بالغريب، فعمر الحضارة الأمريكية القصير، وكون أغلب الأمريكيين من أصول مهاجرة، جنب الأمريكيين نزعة التعصب للأرض، أو التحيز ضد الجديد الوافد. وهذه عوامل تاريخية ونفسية مهمة، لو أحسن المسلمون توظيفها لتمكنوا من التمكين لدين الله في هذه الأرض، وكان ذلك فتحاً مبيناً يداني أعظم الفتوح في تاريخ الإسلام. والله الأمر من قبل ومن بعد.

* متى بدأت ثقافة المواجهة بين الغرب والعالم الإسلامي المعاصر؟
قبل الإجابة عن السؤال مباشرة لابد من التنبيه على مخاطر ثقافة المواجهة، هذه الثقافة التي بدأت مع عصر الاستعمار. ولعل أسوأ آثار الاستعمار الغربي لديار الإسلام هو إنتاجه ثقافة الكراهية والريبة بدلا من ثقافة الإعجاب المتبادل التي كانت سائدة أيام النهضة الأوروبية.

الذين يدرسون العلاقات التاريخية بين الغرب والعالم الإسلامي، يدركون بسهولة أن إعجابا متبادلا كان موجودا خلال القرن السادس عشر والسابع عشر، وهو أمر نجده في كتابات بعض مفكري الغرب مثل الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو. لقد عبر هذا الفيلسوف في كتابه الشهير: العقد الاجتماعي عن إعجابه بما دعاه (قانون ابن إسماعيل ونظامه السياسي) وهو يقصد بقانون ابن إسماعيل الشريعة الإسلامية.

ومن المعروف عن الأدباء الألمان في هذه الفترة إعجابهم الشديد بالأدبين العربي والفارسي، وهو أمر يمكن تلمسه بسهولة في كتاب الديوان الشرقي للشاعر الألماني جوته حتى أن بعض الأدباء الألمان سمي نفسه شهيد الأدب العربي.

وفي الجانب الآخر نجد قادة الفكر والعلم المسلمين أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ رفاعة الطهطاوي والشيخ محب الدين التونسي وعبد الرحمن الكواكبي كلهم معجبين بالحضارة الغربية والنظام السياسي الغربي، حتى كتب الطهطاوي في ذلك كتابه الطريف "تخليص الإبريز في تلخيص باريس"، وتحدث الشيخ محمد عبده أنه وجد في الغرب إسلاما من غير مسلمين، وفي الشرق مسلمين من غير إسلام، هذا الإعجاب المتبادل ما بين العالم الإسلامي والغرب تلاشى بكل أسف مع بداية الاستعمار فسادت ذرائع المواجهة: الغرب يسوغ لنفسه إذلال المسلمين وإخضاعهم والمسلمون يسوغون لأنفسهم مواجهة الغرب وصدده، وفي أجواء الحرب هذه يتمحور كل طرف حول ذاته وينفي عن الطرف الآخر كل فضيلة.

* ما معنى الوهابية التي تتهم بها روسيا إخواننا في الشيشان؟ وهل هذه الكلمة ستكون التهمة-الموضة في المستقبل القريب؟ وهل تتوقع أن يتم التوجه بالعداء للمملكة السعودية؟

الوهابية تاريخيا اسم أطلقه خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب للغض من قيمته وقيمة فكرته الإصلاحية، ولعل أول من استخدم هذا الاصطلاح هو أخو الشيخ الذي كان مخالفا له ولفكرته وألف كتابا صغيرا للرد على الوهابية. أما الوهابية اليوم فهي مقولة إعلامية أكثر منها مقولة فكرية، وهي آخر الذرائع التي تمخض عنها العقل الغربي ليسوغ بها لنفسه مواجهة المسلمين.

الغربيون أناس عمليون. فهم لا يستطيعون أن يستعملوا لفظ مواجهة الإسلام أو مواجهة المسلمين، وإنما لابد أن يعبروا عن ذلك بلغة ملتوية؛ أحيانا باسم محاربة الأصولية وأحيانا باسم محاربة التطرف وأخيرا باسم محاربة الوهابية. ومثل هذه الاصطلاحات مفيدة لهم لتفادي الإشكالات السياسية التي قد تنتج عن استعمال ألفاظ صريحة، مثل "محاربة الإسلام" .. ولا يعني هذا أنني شخصا أتبنى المذهب الوهابي، وإنما هذا تفسير سياسي لخطاب سياسي غربي. أما العداء للسعودية، فهذه ظاهرة جديدة، وسببها أن سياسة احتواء السعودية واستخدامها ضمن الاستراتيجية الأمريكية لم يعد من السهولة كما كان، فمستوى الوعي السياسي لدى الشعب السعودي لم يعد راضيا عن ذلك، ولا متقبلا له. وقد عبر عدم الرضا هذا عن نفسه بأساليب متنوعة بعضها سلمي وهو أسلوب الإصلاحيين، وبعضها عنيف وهو أسلوب الجهاديين. ولذلك بدأت بعض الدوائر الغربية والأمريكية تفهم أن السعودية لم تعد كما كانت، وأن لابد من التعاطي معها بأسلوب مختلف، ولعل الحديث عن الوهابية جزء من ذلك.

* ما هي أسباب الصورة القاتمة التي ينظر بها الغرب إلى

المسلمين؟

إن الصورة القاتمة التي ينظر بها الغرب إلى المسلمين اليوم

لها سببان، أولهما: ما يفعله المسلمون، وثانيهما: ما يفعل بالمسلمين.

وكثير من الناس يهتم بالجانب الأول ويغفل الثاني، لا أعتقد أن مساوئنا هي السبب الوحيد في الصورة السيئة التي يتم ترويجها عنا. لكنني أعتقد أن الجانب الثاني أولى بالاهتمام. فالصورة القائمة هي جزء مما يُفعل بنا وليس بالضرورة سببا لما نفعله، وتوضيح ذلك أن المعتدي لا بد أن يسوغ عدوانه لضميره الميت أولا ثم للعالم بعد ذلك، فلا أحد يتوقع من شارون أن يصف الفلسطينيين بأنهم شعب طيب وهو يقتلهم؛ وإنما لا بد أن يصفهم بكل النعوت الظالمة والأوصاف المستهجنة ليسوغ لنفسه ما يفعله.

فإذا أردنا صورة حسنة للإسلام والمسلمين في عيون الغرب فإن أهم وسيلة لذلك هو وقف العدوان على المسلمين. فإذا توقف العدوان فستتوقف الصورة القائمة التي هي جزء من العدوان.

* هل ترى أن الغرب يرضى بالقليل منا؟ وهل ما قدم الحكام قليل؟

الحقيقة هي أن الغرب لا يرضى منا بالقليل، بل لا يرضى منا بالكثير.. وإنما يريد منا كل شيء، وهذه هي المشكلة، أما ما يقدمه الحكام فلم يعد مفيدا بعد أن أصبحت الشعوب رافضة له. فلا حل لهذا الإشكال إلا أن يتعامل الغربيون مع الشعوب المسلمة ويتوقفوا عن التعامل مع الحكام المستبدين غير الشرعيين. فتبعية الحكام لم تعد تكفي ولا تحمي مصالح الغرب.

والعقلاء من الأمريكيين بدأوا يدركون الآن أن التحالف بين حكومتهم وبين الحكومات المستبدة في العالم الإسلامي لم يعد يضمن أمنهم ولا مصالحهم بل أصبح خطرا في ذاته، ومصدرا من مصادر عداة الشعوب المسلمة لأمريكا ، ولذلك يحتاج الطرفان الغرب والعالم الإسلامي إلى تواصل جديد بين الشعوب لا يمر عبر الحكام. فنحن المسلمين في حاجة إلى التواصل مع الإنسان الغربي العادي والإنسان الغربي بحاجة إلى التواصل مع الإنسان المسلم العادي، ما نحتاجه اليوم هو دبلوماسية شعبية نزيهة ما بين المؤسسات الدينية والمنظمات الشعبية في الغرب وفي العالم الإسلامي والابتعاد عن مجاملات الدبلوماسية الرسمية ونفاقها.

وقد لمست من خلال مقامي سنوات مديدة في أمريكا أن الشعب الأمريكي من أكثر الشعوب الغربية تقبلا للرأي الآخر، ومن أحسنه استماعا ومن أقله عقدا تاريخية ودينية ، لكن المشكلة أنه يجهل المسلمين وقضايا المسلمين وتلك مسئولية المسلمين وخطوهم.. والله تعالى أعلم.

* لماذا فشلت أمريكا في كسب قلوب المسلمين، رغم جهودها الإعلامية وفضائياتها الجبارة؟

هذا سؤال يطرحه الأمريكيون اليوم على أنفسهم بإلحاح خصوصا بعد أن بذلوا أموالا طائلة في مجال الإعلام والعلاقات

العامّة، وفي تأسيس مؤسسات إعلامية ناطقة بالعربية وباللغات الإسلامية الأخرى (قناة الحرة، إذاعة سوا، نيوزويك العربي.. إلخ)، فلم يجدوا ثمرة إيجابية لكل هذا المجهود، والسبب ببساطة هو أن الفعل أبلغ من القول، فما تفعله أمريكا في العالم الإسلامي أكثر تأثيراً وإقناعاً للمسلمين مما تقوله. وذات مرة قال البروفيسور جون اسبورزيتو مدير مركز النفاهم الإسلامي المسيحي في جامعة جورج تاون بواشنطن، متحدثاً حول هذا الموضوع إن الفلسطيني الذي تدمر طائرات الأباتشي الأمريكية بيته وتقتل أولاده لن تقنعه دعاية إعلامية فقد قدمت أمريكا نفسها إليه من خلال الفعل، ولذلك فهو لم يتقبل القول. كما أن من أسباب فشل أمريكا في كسب قلوب المسلمين رغم أن كل العالم عيال على إعلامها وأفلامها هو أن رسالتها أحياناً غير مقنعة؛ فأى رسالة تحاول إقناع الفلسطيني بأن شارون رجل سلام، أو إقناع العراقي بأن الإعمار يأتي عبر الاستعمار، هي رسالة فاشلة وغير مقنعة مهما بذل من تزيين لترويجها. الخلاصة هي أن أمريكا فشلت في كسب قلوب المسلمين؛ لأن المسلمين ينظرون إلى الفعل أكثر من القول، ويوم تفعل أمريكا ما هو مقنع فإن المسلمين سيقنعون من دون حاجة إلى دعاية منها.

* هل المشكلة في ثقافة المسلمين أم في سياسة الغرب؟

هذا سؤال كبير، وهو جوهر الخلاف في تفسير المواجهة والعداوة بين العالم الإسلامي والغرب. فالمسلمون يؤمنون بأن المشكلة

في سياسات الغرب، والغرب أو الحكومة الأمريكية على الأقل تؤمن بأن المشكلة هي في ثقافة المسلمين، ولذلك تحاول تغيير المناهج الدراسية في الدول الإسلامية واستبدال الثقافة الإسلامية بثقافة غربية علمانية، لكن هذا التفسير الذي تتبناه النخبة السياسية الأمريكية هو تفسير سطحي من الناحية الفكرية وغير نزيه من الناحية الأخلاقية، فالذي جعل كثيرا من المسلمين في العالم الإسلامي ينظرون إلى أمريكا نظرة سلبية هو السياسات الأمريكية لا غير، فمن طبيعة البشر أنهم يكرهون الظلم فالشيوعي والوثني الفيتنامي الذي لا دين له قاوم السياسة الأمريكية والاحتلال الأمريكي لبلده دون أن يكون مسلما ولا حتى متدينا بأي دين.

وحتى لو نظرنا إلى التكوين الدراسي للذين خططوا و نفذوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر فسنجد ما يكفي لنقض التفسير الأمريكي؛ فخالد شيخ محمد الذي هو مخطط العملية درس في كلية مسيحية معمدانية بولاية نورث كارولينا الأمريكية ثم في جامعة تقنية أمريكية بنفس الولاية، وثلاثة من الطيارين الذين نفذوا العملية درسوا في جامعات ألمانية ثم أخذوا شهادات الطيران من مدارس أمريكية وأحدهم درس في مدرسة كاثوليكية في لبنان .. ماذا يعني كل هذا؟ هذا يعني أن المدارس الإسلامية ليست هي المشكلة وأن الذين يعادون

أمريكا لا يعادونها بسبب تخرجهم من مدارس قرآنية أو كليات شرعية، بل يعادونها بسبب سياساتها.

فالمشكلة ليست في ثقافة المسلمين بل في سياسات الغرب. تلك هي الحقيقة المرة التي لا تريد النخبة السياسية الأمريكية الاعتراف بها؛ لأن الاعتراف بها يتضمن إقرارا بالذنب وتصحيحا للانحراف ، فهو أمر لا تريده هذه النخبة السياسية الآن على الأقل. ومع ذلك ينبغي ألا نياس فالشعوب الغربية والشعب الأمريكي خصوصا ستدرك هذه الحقائق يوما ما، وستتوصل إلى أن التعاطي مع المسلمين بمنهج البر والقسط أولى من التمادي في العداء لهم، والذين يريدون توسعا في هذه النقطة يمكنهم الرجوع إلى مقالي على موقع الجزيرة نت الإنجليزي عن "الجذور السياسية لعدم الأمن في أمريكا".

Political Roots of American Insecurity

* لماذا لا يستثمر المسلمون في الإعلام الغربي ويخاطبون الإنسان الغربي بلغته؟ ولماذا لم يتم تطوير الخطاب الإسلامي في الغرب بشكل مناسب حتى الآن؟

أعتقد أن أكبر فشل للمسلمين اليوم هو تفريطهم في مخاطبة الإنسان الغربي عموما والأمريكي خصوصا خطايا مباشرة من دون وسائل. وأقصد بالإنسان الغربي والأمريكي الإنسان العادي وليس

رجل النخبة، فرجل النخبة في الغرب من طبيعته الغالبة أن يكون ذا وجهين كما قال مرة الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" (إن النخبة تعرف الحقيقة ولا تريدها أما الجمهور فيريد الحقيقة ولا يعرفها). فواجبنا اليوم هو مخاطبة هذا الجمهور الذي يبحث عن الحقيقة صادقا ولا يعرفها، ووسيلة ذلك هي أن يستثمر رجال الأعمال المسلمون في وسائل الإعلام الغربية فهي في النهاية شركات مساهمة يطبعها الطابع التجاري، لكننا لا نزال مفرطين في هذا تفريطا قبيحا. هل تتصور أن أكبر مستثمر في مدينة نيويورك عاصمة المال والإعلام في أمريكا وفي العالم كله هو رجل مسلم، إنه الوليد بن طلال الأمير السعودي، ووسائل الإعلام الأمريكية المتمركزة في نيويورك بالذات تشتم السعودية وتشوهها وتلعنها ليل نهار، فهذا مثال على المفارقات التي نعيشها اليوم وعلى إهدار طاقة أمتنا في غير طائل. لابد من مخاطبة الإنسان الغربي العادي، ولابد من فك حصار نخبته عنه فهي نخبة منافقة تعرف الحقيقة ولا تريدها كما قال روسو. ولن يكون ذلك إلا بترسخ المسلمين في هذه المجتمعات واستثمارهم في وسائل إعلامها، وعلى المسلمين المقيمين في الغرب وفي أمريكا خصوصا مسؤولية خاصة في هذا المضمار والحمد لله أنهم بدأوا يدركون ثقل هذه المسؤولية. وأخيرا لابد أن نفهم أن مخاطبة الإنسان

الغربي بلغته ليست فقط مسألة لغوية وإنما المراد باللغة هنا أسلوب الخطاب أيضا ومعرفة خلفية المخاطبين. حينما سأل النجاشي جعفر ابن أبي طالب ﷺ أن يقرأ عليه من القرآن لم يقرأ عليه جعفر سورة قريش بل سورة مريم. تلك هي مخاطبة الإنسان بلغته.

* لماذا لا يستفيد العرب من أموالهم المحفوظة في بنوك الغرب - والتي بلغت تريليونا و ٤٠٠ مليار دولار وفق آخر التقديرات - في الضغط على دول الغرب للتعامل بإنصاف مع القضايا العربية؟

أعتقد أن أموال العرب في الغرب مثال بليغ على إهدار طاقات هذه الأمة وعدم فاعليتها، لأنها في أيدي أقوام لا خلاق لهم، ولا يحملون رسالة ولا همًا. ولكن المشكلة أكبر من قضية هذه الأموال، المشكلة هي بناء السلطة في الدول العربية وعدم شرعيتها. وأي سلطة غير شرعية تستمد بقاءها من الخارج ستسخر طاقات الأمة لخدمة الخارج وخدمة بقاءها. فالحل ليس بالترقيع والجزئيات، بل بإصلاح الأساس، وهو شرعية السلطة في بلداننا. وقد قال الشاعر محمد إقبال:

أبدا مرقعة الجنيد لوحدنا لن نستطيع لأمرنا ترقيعا

فالترقيع وإصلاح الجزئيات لم يعد يجدي نفعا، بل لا بد من التغيير الجذري لبنية السلطة ومنطقها داخل الدول العربية والإسلامية

واستبدال القادة المفلسين الحاليين بقيادات شرعية تختارها الأمة بحرية وتراعي مصالح الأمة ومشاعرها فيما تقول وتفعل، وهذه مسئولية الشعوب المسلمة داخل الدول الإسلامية ومن دون هذا التغيير السياسي الجذري فلا أمل لأمتنا للرجوع إلى مسرح التاريخ من جديد .

* هل ترى أن العقيدة التي يتعامل بها الغرب مع المسلمين وثنية- مسيحية متصهينة؟

للدين أثره العميق في تعاطي الغرب مع العالم الإسلامي، وهذا أمر يصدق على أمريكا أكثر من أي دولة أخرى. وما من شك في أن المسيحية الأمريكية لها خصائص مميزة، أهمها التأثير العميق للديانة اليهودية على المسيحية البروتستانتية. وهذا حديث طويل له خلفيات تاريخية عميقة ترجع إلى ما يعرف بالإصلاح في أوروبا، لما أعاد مارتن لوثر قراءة المسيحية وجعل للعهد القديم الذي يتضمن التوراة العبرانية أهمية أكبر من العهد الجديد الذي هو الإنجيل. ولذلك لا عجب أن كانت الدول البروتستانتية وهي أمريكا وبريطانيا وأستراليا أكثر خدمة لإسرائيل وعطفا عليها. وهو عطف أساسه مشاعر دينية عميقة عبر عنها الرئيس كارتر في كتابيه: "مصادر القوة" و"دماء إبراهيم"، كما عبر عنها كلينتون وبوش الأول وبوش الثاني كل بطريقته الخاصة قولا وفعلا.

لكن ينبغي أن نتجنب التبسيط والتعميم. ففي أمريكا ٦٠ مليوناً من الكاثوليك، وهم لا يشاطرون الأصوليين البروتستانت رؤيتهم الصهيونية. وفي المذاهب البروتستانتية نفسها يتفاوت اليهود والتصهين من طائفة لأخرى. فالطائفة المعمدانية Baptist لها رؤيتها وهي تختلف عن رؤية الطائفة المنهجية Methodist وعن الطائفة المشيخية Presbyterian والطائفة التوحيدية Unitarian. وفي كل من هذه الطوائف يوجد الليبرالي المتحرر والمتدين المحافظ. وحتى هذا المحافظ المتدين قد يدفعه تدينه إلى إنصاف المسلمين والقرب منهم، وقد يدفعه تدينه إلى التعصب ضدهم والبعد عنهم. فلا بد للمسلم المعاصر أن يفهم الخريطة الدينية داخل الدول الغربية، وخصوصاً أمريكا، ليدرك خلفيات المواقف السياسية التي تؤثر على العالم الإسلامي. فلو أننا فهمنا هذه الخريطة الدينية والسياسية بتفاصيل مفرداتها لوجدنا دائماً في هذه الشعوب الغربية من يمكن التفاهم معه ومن يؤمن بالعدل والإنصاف. أما التبسيط والتعميم فهو مضر من الناحية السياسية، وهو خطأ من الناحية الأخلاقية.

* ما هي رؤية رجل الشارع العادي الغربي للصراع الدائر في فلسطين والعراق.. هل يتفاعل معه بنوع من التعصب للبلد الذي ينتمي إليه؟ وهل يتفاعل معه من الأساس؟ وهل الغربيون العاديون بالسذاجة التي يصورها البعض لنا، مما يوحي بأنهم لا

يعرفون ولا يهتمون بما هو خارج بلادهم؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل ثمة وسيلة لدفعهم إلى الاهتمام بهذه القضايا وتصحيح منظورهم أو تحييده على الأقل؟

لن أتحدث عن الغربيين بشكل عام، وإنما عن الأمريكيين. فالأمريكيون عاشوا بين محيطين خلال عمر حضارتهم القصير، وكانوا دائما معزولين عن العالم ثقافيا، ولم يكن لديهم اهتمام كبير بسياسات بلادهم الخارجية، وكل من عاش في أمريكا أو درس الثقافة الأمريكية يدرك هذا بسهولة، كما أن الأمريكيين من العوام يمتازون بكثير من السذاجة، فهم يصدق عليهم تماما قول روسو: إنهم يريدون الحقيقة ولا يعرفونها.

ليس لدى الأمريكي العادي في الغالب تعصب ضد المسلمين، لكنه ضحية وسائل الإعلام التي تملكها نخبة غير نزيهة. وهذا الإعلام هو مصدر معلوماته الوحيد عن المسلمين، وعن إشكالات الخلاف بين أمريكا والعالم الإسلامي، وهذا جزء من إشكال أكبر هو تأثير المال في النظام السياسي الأمريكي. فوسائل الإعلام الأمريكية تملك نخبا مثقفة أمريكية، وشركات ضخمة، وهي تخلط الرسالة الإعلامية دائما بمطامحها ومطامعها. وفي ظل غياب وجهة النظر المقابلة بسبب تقريظ المسلمين فإن وجهة نظر اللوبي الصهيوني وشركات النفط وشركات السلاح هي وجهة النظر الغالبة على خطاب الإعلام الأمريكي.

لذلك، أنا أعتقد أن الذين يعلنون الحرب على الشعب الأمريكي بعمومه مخطئون، وهم لا يعرفون الكثير عن هذا الشعب؛ لأن المطلوب ليس إعلان الحرب على الشعب الأمريكي، بل التواصل معه، والتحالف معه ضد نخبته السياسية والمالية التي تمارس الظلم ضده وضد المسلمين، وعزل هذه النخبة بدلا من تقويتها من خلال استهداف كل الأمريكيين. فاستهداف كل الشعب الأمريكي، وفتح جبهة عريضة معه هو الذي يقوي النخبة المتحيزة ضد المسلمين، ومن هنا تأتي أهمية الاستثمار في الإعلام الأمريكي، وإيصال الكلمة الصادقة إلى الشعب الأمريكي بلغته.

إن العدل يخدم الجميع، وهو من مصلحة الجميع، والغالبية العظمى من الشعب الأمريكي - مثل الغالبية العظمى من الشعوب الإسلامية - رافضة لمناخ العداوات والمواجهات السائدة الآن. فلنتعامل مع الشعب الأمريكي على أنه ضحية لا على أنه عدو. ذلك هو المدخل الصحيح لتشخيص المشكلة وعلاجها.

* ما رأيكم في التلازم بين الطغاة والغلاة والغزاة؟ وهل الأول سبب للثاني والثاني سبب للثالث أم ماذا؟

هذه الثلاثية الجميلة - أقصد القبيحة - تفسر الكثير من جوانب مأساتنا اليوم. فما من ريب أن الطغاة هم الذين يفتحون الباب للغزاة.

وقد عبر عن ذلك الأستاذ المفكر مالك بن نبي منذ عقود فقال: إن القابلية للاستعمار هي التي تقود إلى الاستعمار، وإن الأفكار الميتة تمهد للأفكار المميتة، بمعنى أن عدم تحصين مجتمعاتنا سياسيا وثقافيا هو الذي جعل أبوابها مفتحة لأي عدو طارئ.

لماذا انسحبت الإمبراطورية البريطانية من كل مستعمراتها على الأرض ثم لا يزال لديها جنود في البحرين والكويت والعراق مثلا، هذا مؤشر على أن أمتنا هي أقل أمم الأرض حصانة ومنعة. والتحصين يكون بإحدى طريقتين: إما تحصين سياسي للأمة من خلال تغيير القيادات المفلسة واختيار قيادات شرعية تحترم إرادة الأمة وتحميها، وإما تحصين عسكري للأمة ببناء قوة رادعة تجعل الطامعين فيها يفكرون مليا قبل الإقدام على غزوها. والتحصين الأول - أي السياسي - أولى وأضمن ثمرة؛ لأن المواطنين الأحرار هم الذين يستطيعون حماية بلدانهم، أما القوى العسكرية وحدها مع العبودية السياسية فهي لا تفيد. وليس السلاح الباكستاني النووي منا ببعيد. لقد قال عنتر بن شداد منذ أمد بعيد: "إن العبد لا يحسن الكر والفر، وإنما يحسن الحليب والصر".

* كيف تقيمون الإصلاحات السياسية التي انتهجتها بعض الدول الإسلامية مؤخرا؟

إصلاحات خجولة ومناوضة، أرى أنها "قليلة جدا ومتأخرة جدا عن أوانها" كما يقول الأمريكيون : too little, too late، ومع ذلك فليس من سبيل أمام قادة الدول الإسلامية إن أرادت إصلاحا، سوى المبادرة إلى التلاقي مع شعبها.

لقد أفلس خيار الاستبداد، وبدأ خيار العنف يكتسب أنصارا، وكلا الخيارين لا خير فيه. فلا يبقى سوى خيار الإصلاح، والقبول بمشاركة الشعب في تسيير شؤونه، وإقرار قادتنا بأنهم بشر لا آلهة.

* هل يمكن أن نفصل مصالح أمريكا الاستراتيجية عن مطالبها من وقت لآخر بإرساء الحريات والديمقراطية وحقوق الإنسان وغير ذلك من الشعارات التي لم تكن أبدا هدفا لسياسات أصحاب القرار في أمريكا؟ وهل أمريكا قادرة على تصدير ديمقراطية حرم منها الشعب الأمريكي نفسه؛ حيث ضرب برفضه حرب العراق عرض الحائط، وأصرت قيادته على المضي في هذه الحرب الإبادية على العالم العربي كله؟! أرى أن هذا من المفارقات العجيبة!!

المصالح لا المبادئ هي التي توجه أمريكا، لكن تلاقي المصالح مع مصالح الشعوب المسلمة أحيانا أمر وارد وممكن، وهو ما نرجو أن يحصل قريبا.. فإذا أصبح تصدير الديمقراطية إلى منطقتنا مصلحة أمريكية فسيحدث ذلك، كما صدّرت أمريكا الديمقراطية

وأيدتها في أوروبا الغربية والشرقية. أما ما تفضلتم به من إشارة إلى الاختلال في النظام السياسي الأمريكي فهو صحيح، خصوصا فيما يتعلق بالسياسة الخارجية؛ فهي لا تصاغ ديمقراطيا، بل تمليها اللوبيات الصهيونية، ولوبيات النفط والسلاح، بعيدا عن رأي عامة الشعب الأمريكي المغفل.

* أنا مسلم متزوج من مسيحية روسية، وسؤالي هو: ما هو الأسلوب المفترض اتباعه حتى أحاول هدايتها إلى الإسلام؟

من أهم ما نقترحه عليك أن تبدأ بالأساسيات، أي بالمبادئ الاعتقادية والأخلاقية، والأمور التي يسهل الاتفاق عليها نظرا لعمومها، أو لأن من السهل على زوجتك القبول بها بحكم معرفتك بشخصيتها. ومن أمثلة القسم الأول: ضرورة أن يكون لحياة الإنسان معنى، ودلالة المخلوقات الجميلة على قدرة الخالق. ومن أمثلة القسم الثاني: الفوائد التي يجنيها المسلم من الإسلام في حياته العملية، مثل تجنبه مساوئ الخمر - إذا كانت زوجتك ممن يكرهون الخمر ويدركون مساوئه - ومخاطر الأمراض الجنسية كالإيدز وما إليه.

ونصحك أن تتجنب الموضوعات المثيرة للجدل والخلاف، ومنها القضايا السياسية الحساسة لدى زوجتك، وقد يكون منها موضوع الحرب في الشيشان وما إلى ذلك. ولا تتقل عليها بالحديث عن القضايا العملية التي تحتاج التزاما اعتقاديا أولا.

وعليك أن تبحث عن "لغة مشتركة" تفهمها زوجتك من ثقافتها الخاصة، مثل ما ورد في مقدمة رواية (الإخوة كرامازوف) للأديب الروسي الكبير "دوستوفسكي" من ولعه بالقرآن الكريم، ودوامه على قراءته في سنوات عمره الأخيرة. فهذه القصة على بساطتها قد تجتذب الإنسان ذا الثقافة الروسية إلى الاهتمام بقراءة القرآن واستكشاف معانيه، ثم إلى قبول الإسلام.

ومما يدخل في إطار هذه "اللغة المشتركة" التي تحتاج إلى استخدامها، أن تبين لزوجتك خلفيات النظرة السلبية التي ينظر بها الروس إلى الشعوب المسلمة -خصوصا الترك والتتر- حتى وصفهم "دوستوفسكي" في نفس الرواية بأنهم "جلادو الجنس المسيحي"، كما وصف عقدة عصا أحد الأمراء الروس بأنها "مثل عمامة تركي"!.. فإذا فهمت زوجتك جوانب التحيز في ثقافة قومها تجاه الإسلام، وأن سبب ذلك هو الحروب التي دامت قرونا بينهم وبين الترك والتتر المسلمين، فإن ذلك سيعينها بتوفيق من الله على فتح قلبها للإسلام، متحررة من هذا الميراث السلبي.

ويبقى تعاملك مع زوجتك، وما تراه منك من التزام بالإسلام، وعمق الإيمان وحيويته، أكبر جاذب لها إلى التوحيد بالله، وما دامت لم تبين ثقافتها الإسلامية الخاصة، فالإسلام أنت، وأنت الإسلام، في نظرها.. فاحرص على ألا تخذل صورة الإسلام المتجسدة فيك عندها، واحرص على أن تريها من نبل الشرائع وجميل الفضائل ما

يحبب إليها دين الله تعالى، مع توظيف كل موقف جميل تقفه منها،
وبيان أن هذا الموقف نابع من إسلامك وإيمانك.

* أنا فتاة مسلمة أعيش في بلد غير مسلم، وألتقي بأناس كثيرين
من ديانات شتى، وكثيرا ما يفتحون معي مواضيع حول ديانتني
الإسلامية نظرا لأنني محجبة، ومن الممكن أن أدعوهم إلى
الإسلام، ولكن المشكلة هي أنني لا أعرف كيف أبين لهم أنهم
على خطأ وأن الإسلام هو الدين الصحيح، وأنهم يجب أن
يتبعوه؟ وكيف أنه بمجيء الإسلام أصبحت دياناتهم لاغية،
فكيف أشرح لهم ذلك؟ وكيف أحاورهم حوارا مؤثرا؟ أمامي
مجال واسع للتحدث في هذه المواضيع لأنني أختلط بغير
المسلمين بحكم دراستي، وأحس أنه من واجبي أن أتكلم معهم
وأبين لهم.. ولكن في بعض الأحيان يكون الأمر صعبا عليّ. ثم
أعرف أن الاختلاط حرام، وبعض المسلمين يقولون لي إنه
يحرّم عليّ أن أتحدث مع الرجال منهم؟

الإسلام دين بلاغ، وواجب كل مسلم -خصوصا المقيمين في
بلاد غير إسلامية- أن يبلغوا رسالة الإسلام إلى غير المسلمين،
بالقول وبالفعل.

وللرد على تساؤلاتك المهمة، هذه بضع ملاحظات:

١- ليس من اللازم أن يكون المسلم ضالعا في علوم الشرع متمرسا فيها، لكي يكون مؤهلا لدعوة الناس إلى الإسلام. بل يستطيع من ليس متمكنا في الدراسات الإسلامية أن يوظف ما أنتجه أهل العلم المتمرسون في مقارنة الأديان من مكتوب ومنطوق في هذا المضمار. فمن خلال الاطلاع على الإنتاج العلمي لهؤلاء الأعلام يكون المسلم الغيور قادرا على تمييز الفروق بين الإسلام والديانات الأخرى، ملما بنقاط الضعف وعدم الأصالة في تلك الديانات المحرفة.

٢- ليس من اللازم البدء بالتهجم على ما لدى الآخرين من عقائد، مهما كان درجة سذاجتها وظهور انحرافها، لأن ذلك يقود إلى المراء، وأسلوب المراء والمناظرة قد يجعل المسلم يغلب غير المسلم، لكنه لا يجعله يكسبه.. والمسلم صاحب الرسالة يريد أن يكسب الناس لا أن يغلبهم، كما أن أسلوب التشهير المباشر بما لدى الآخرين من عقائد قد يستثير ردود أفعال عنيفة منهم، ويجعلهم يدافعون عن عقائدهم، ويسدون آذانهم عن كل ما يخالفها، وقد علمنا الخالق سبحانه أن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وأن نقول للناس حسنا.. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

٣- من الواجب ألا يقبل المسلم بالموقف الدفاعي، فيظل يؤكد أن الإسلام "ليس كذا.. وليس كذا"، فهذا أسلوب ضعيف يقع فيه أغلب المسلمين اليوم بحكم ضعفهم الفكري والنفسي، فتضيع عليهم فرصة الحديث عن الإسلام بأسلوب إيجابي بناء، وتظل أداة النفي والسلب "ليس" تتردد على ألسنتهم كل حين.. بينما الأصل ألا نضيع الكثير من وقتنا في الرد على الشبهات، فهي غير محدودة وجهدنا محدود، بل الأصل أن نتحدث عن "ما هو الإسلام"، لا عن ما ليس بإسلام، ولا نطيل في الحديث عن الخلاف بين الإسلام والديانات الأخرى، فالإنسان الذي نخاطبه بخطابنا الإسلامي سيقوم بالمقارنة الذهنية بنفسه، بين ما سمعه عن الإسلام، وما يعرفه من دينه الخاص، فيكفينا مؤونة ذلك.

٤- لا يعني كل ذلك من واجب الاطلاع على ديانات القوم وثقافتهم، من أجل بلورة لغة مشتركة معهم يفهمونها، وتقديم الإسلام إليهم بأسلوب يعقلونه ويتذوقونه.. ولنا في هجرة المسلمين الأولين إلى الحبشة عبرة: فحينما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقرأ عليه من القرآن، قرأ عليه سورة مريم، فكان ذلك من حكمة جعفر وذكائه، وقد وجد النجاشي في ذلك لغة مشتركة مع المسلمين، تجعلهم أقرب إليه من مشركي مكة في كل الأحوال، واللغة المشتركة

ليست مجرد اللسان الناطق، وإنما هي مشتركات القيم والأخلاق والأذواق والتاريخ والثقافة التي تجعل بعض الناس ينجذب إلى بعض، وقد أحل الله ﷻ لنا الزواج بنساء أهل الكتاب وأكل طعامهم لتظل قنوات التواصل والتفاعل مفتوحة بيننا وبينهم، عسى أن يجدوا في كتاب الله الأخير ما يجدد لهم رسالات الأنبياء السالفة، مجردة من غواشي التاريخ وتحريفات البشر.

٥- ليس حديث امرأة إلى الرجال لغاية تبليغ الرسالة إلا امتدادا لواجب التبليغ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.. أما ما قال به بعض فقهاء عصور الانحطاط من أن "صوت المرأة عورة" فهو جهالة وخضوع لأعراف الأقوام، يناقض ما تواتر من نصوص صريحة صحيحة حول تحدث النبي ﷺ وأصحابه مع النساء في الواجب والمباح، ومنه حديث البخاري عن لقاء أبي بكر ﷺ مع قوم ومعهم امرأة صامتة ترفض الكلام، فنهاها الصديق عن ذلك، واعتبره من فعل الجاهلية، ثم سألته أسئلة وأجابها؛ وقد غالى بعض الفقهاء في التقييد حتى حرم على المرأة الكتابة، واضطر الشيخ المحدث عبد العظيم الحيدري بادي أن يكتب كتابا في الرد عليهم سماه: "اللؤلؤ والمرجان في إباحة الكتابة للنسوان" ..

فالذي حرمه الإسلام هو خلوة المرأة برجل غير محرم، و"الخضوع في القول"، أي ما كان مشتملا على إغراء وتدلل لإيقاع الرجال في الحرام، أما "القول المعروف" الذي تريد المرأة به إيصال الحق بحزم وصدق، فهو مطلوب ومرغوب بنص آية الأحزاب ذاتها: ﴿وَقُلْنَا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وهل يوجد معروف أعرف من إيلاغ الحق إلى الخلق؟

* هل تعتبرون حل الانقلابات العسكرية والثورات الشعبية العنيفة خيارا صالحا أمام حركات التغيير الإسلامية؟

الجمود على الوسائل ليس من شيم حركات التغيير الواعية، وإيمان الحركات الإصلاحية بالتغيير السلمي لا ينبغي أن يمنعها من الترحيب بأي تغيير عن طريق آخر، إذا انسدت منافذ التغيير السلمي. فقد عانت أمتنا كثيرا وطال انتظارها. والسياسة لا تتعاطى مع القوالب الذهنية المجردة، بل تتعاطى مع الواقع ضمن خيارات محدودة، وهي تفرض أحيانا كثيرة التغاضي عن بعض الشرر تجنباً لما هو أشر. وقد أورد الحافظ الذهبي في "سير أعلام النبلاء" عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه كان يقول: "ليس العاقل هو الذي يعرف الخير من الشر، ولكن هو الذي يعرف خير الشرين".

ويبقى لدينا دائماً أمل في التخلص من الظلمة ورجوع الحق إلى أهله. وينبغي ألا نفقد الأمل مهما ادلهمت الخطوب. فإله تعالى يبذل الأحوال ويأتي بالفرج من حيث لا نحتسب. لقد كان فرعون يفخر بأن الأنهار تجري من تحته، ثم انتهى المطاف بجريان الماء من فوق رأسه، وجاء إخوة يوسف بقميصه وقد لوثوه بدم كذب، ثم جاعوا بعد ذلك بقميصه يخلون البشري بسلامته. والله الأمر من قبل ومن بعد.

* هل لابد من بعث رسائل الاطمئنان دوماً للقوى العظمى من قبل

أي حاكم عربي جديد؟

نعم بكل أسف، لأن ميزان القوى الداخلي - أي الشعب - لا يزال أضعف وأقل فاعلية من مستوى التأثير الخارجي. ويوم ينمو الوعي السياسي لدى شعوبنا، وتستعد لدفع ثمن الحرية، فسيتغير منطق السلطة، وتصبح الأولوية للداخل على الخارج في نظر حكامنا.

• ثار جدل كبير حول فيلم آلام المسيح، فماذا ينبغي أن يكون موقف المسلم من هذه القضية المثارة في هذا الفيلم؟ وهل صلب اليهود المسيح حقاً أم أن هذا لم يحدث؟ وإن كان حدث فهل يتحمل يهود اليوم إثم وأوزار أسلافهم؟ وهل للفيلم أي مدلول سياسي؟

من المعلوم من دين الإسلام ضرورة أن اليهود لم يصلبوا المسيح عليه السلام، ولا قتلوه، ولا صلبه غيرهم أو قتله. فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنَّ شُبُهَةَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

فقصة الصليب من أساسها قصة مرفوضة إسلامياً، عقدياً وقانونياً. والمسلمون لا يؤمنون بفكرة "الخطيئة المتوارثة" التي يؤمن بها المسيحيون، وخلصتها أن كل البشر ورثوا قسطاً من خطيئة آدم في الجنة، وأنهم بحاجة إلى من يضحي من أجلهم بدمه، وقد قام المسيح بهذه التضحية.. هذه كلها عقائد وثنية لا صلة لها بتعاليم الوحي، ولا تتناسق مع عدالة الخالق سبحانه.

أما التصور الإسلامي فيتأسس على مبدأ " لا تزر وازرة وزر أخرى". فليس أبناء آدم مسئولين عن خطيئة آدم عليه السلام، كما أن آدم تاب إلى ربه وقبل توبته، كما قال تعالى: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢١ ، ١٢٢] . وليس من العدل أن يموت المسيح على الصليب تكفيراً عن خطيئة آخرين.

والخلاصة أن فيلم "الأم المسيح" فيلم ينطلق من فكرة تتناقض مع التوحيد وعدالة الخالق سبحانه. وينبغي ألا يغتر المسلم بأن الفيلم قد أغضب اليهود؛ فالفيلم مبني على عقيدة تتناقض عقيدة الإسلام. إن اليهود لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه ، ولو افترضنا أنهم قتلوه - وهو افتراض باطل بنص القرآن الكريم- فمن الظلم تحميل يهود اليوم ما اقترفته أيدي اليهود قبل ٢٠٠٠ عام.

لقد اعترض اليهود في أمريكا وفي كل مكان على صدور الفيلم، ونددت به "رابطة محاربة التشهير" وهي منظمة يهودية أمريكية نشطة، وقاطعه رجال الأعمال اليهود الذين يسيطرون على مؤسسة "هوليوود"، أشهر مؤسسة أمريكية وعالمية في صناعة الأفلام.

أما الإسرائيليون فقد بلغوا من الانزعاج كل مبلغ، حتى قال عضو في الكنيست ووزير إسرائيلي سابق بكل فجاجة: "نعم نحن قتلنا المسيح.. إنه غلام يهودي رفض دين آبائه فقتلوه طبقا لقانون التوراة!!" (صحيفة إسرائيل من الداخل). وطالب بعض أعضاء الكنيست بمحاكمة "ميل جيسون" مخرج الفيلم.

فالمدلول السياسي للفيلم هو أن اليهود بدأوا يفقدون السيطرة على العقل الأمريكي، وقد تحداهم مخرج الفيلم "ميل جيسون" في معاقلهم. وذلك نذير شؤم وعلامة خطر بالغة بالنسبة لهم.

* ما الذي ينبغي أن تفعله الأخوات المسلمات اللاتي يرتدين الحجاب في تركيا، ضد قاتون حظر الحجاب هناك؟ هل ينبغي أن يذهبن إلى الجامعة بدون حجاب، أم يتخلين عن دراستهن؟

إن حظر الحجاب في جامعات تركيا - وفي جامعات تونس - ظلم من المؤسسة الحاكمة المتعصبة، وتحيز فاضح ضد الإسلام،

وتعد صارخ على حقوق الإنسان. وهذا الحظر هو الذي شجع الفرنسيين على إصدار قانون يحظر الحجاب في مدارسهم العمومية. وواجب النساء المسلمات - والرجال المسلمين - هو العمل على إلغاء هذه القوانين الجائرة، وعدم الاستسلام لها أو التكيف معها. هذا على مستوى المسؤولية العامة والمدى البعيد؛ لأن إسقاط هذه القوانين هو الحل الذي يخرج المرأة المسلمة من الحرج والمشقة. وقبل إنجاز ذلك، يتعين على المرأة المتحجبة أن توازن بين واجب العلم وواجب الستر. والأولى في نظري - والله أعلم - أن تذهب إلى الجامعة بدون حجاب، إن لم يكن لديها خيار غير ذلك، مع حرصها على ارتدائه حالما تخرج من الجامعة.

فهذا الخيار - على سؤئه - أفضل من ترك الدراسة.

على ألا تنسى المرأة المتدينة أن واجبها هو تحدي القوانين الظالمة، لا الخضوع لها. وبالتالي فيجب عليها مواصلة العمل من دون كلل مع كل الغيورين على الإسلام وعلى حقوق الإنسان، حتى يتم إلغاء قانون حظر الحجاب.

* هل يجوز لمسلم أن يطلب جنسية البلد المقيم فيه في الغرب؟

إن حمل الجنسية هو عملية رمزية تحمل معنى الانتماء إلى البلد، ومشاركة أهله في سرائهم وضرائهم، والتعاون معهم على ما فيه خير البلد وأهله.

ويفترض في المسلم أن يكون عامل بناء وخير أينما حل، سواء أخذ الجنسية أم لم يأخذها. فإذا كان حمل الجنسية سيسهل عليه شئونه الدينية والدينية، ويمكنه من خدمة الناس وعماراة الأرض أكثر، فذلك أمر مرغوب ومطلوب ، وليس جائزا فقط.

ويمكن أن ننظر للأمر من وجهة نظر عالمية الإسلام، فنحن أمة أخرجها الله إلى الناس: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ فمفهوم "الإخراج" هنا يقتضي من المسلم الضرب في مناكب الأرض، وتبليغ رسالة ربه، وحمل الإسلام فعلا وقولا إلى العالمين.

وليس هذا ممكنا في عصرنا إلا إذا كان المسلمون يحملون جنسيات كل الدول وثقافات كل الأمم. وقد حكى لنا المؤرخون أن ٨٠% من صحابة رسول الله ﷺ ماتوا خارج جزيرة العرب، وفي ذلك عبرة للمعتبر.

* لماذا لا يكون هناك مرجع ثابت للمسلمين في بلاد الغرب؟ هناك اختلاف كبير بين الشيوخ على أمور تطرح في البلدان غير المسلمة، وبصراحة حال المسلمين هناك لا يسر بسبب الانشاقات الناتجة عن اختلاف الرأي.. فما هو برأيكم الحل الواقعي لذلك؟

أعتقد أن الحل الواقعي لذلك هو أن نقبل بتلك الخلافات، ولا نحاول صياغة الفكر الإسلامي والفقهاء الإسلامي في قالب واحد. أما محاولة إقامة "مرجع ثابت" بمعنى مؤسسة رسمية، تحتكر الإفتاء، ولا

يتجاوزها الناس إلى غيرها، فذلك خطر على الدين وأهله؛ لأن الله عصم الدين بعصمة الأمة كلها، لا بعصمة شيخ واحد، أو مؤسسة واحدة. وقد أحسن ابن تيمية في رده على عقيدة الشيعة في عصمة الأئمة، حين قال: "عصمة الأمة تغني عن عصمة الأئمة". لكن الخلافات ينبغي ألا تتحول إلى شقاقات، وكل ما نحتاجه هو القبول بها واقعا شرعيا، وإيجاد طرائق لتنظيمها والتحكم فيها عمليا.

* هناك من يعتقد أن تاريخنا ناصع البياض ولا يجوز لأي أحد مهما كان أن يتكلم حتى عن النقاط السوداء فيه، فمثلا يرى بعض الناس أنه لا يجوز أن نقول عن الفاطميين إنهم نشروا البدعة وطمسوا السنة وحاربوا رجال الحديث ورفعوا شعار "من سب (الصحابة) ولعن فله دينار وأردب"؛ خوفا من أن ينسج المستشرقون وأعداء الإسلام على هذا ويأخذوه ذريعة لأن يغطوا به كل ما أنتجه الفاطميون في تاريخنا الطويل. فما رأيكم في هذا القول؟ وهل مفاصد الفاطميين غلبت محاسنهم أم العكس؟

قراءة التاريخ أثر كبير على فهمنا لمبادئ الدين، وتأصيلنا لقضاياها، خصوصا تاريخ الصدر الأول من الصحابة والتابعين، والذين يتخرجون من ذكر سلبيات تاريخهم يحرمون أنفسهم من الفهم والاعتبار بالماضي، المعين على حسن بناء المستقبل.

والمسلمون اليوم في أمس الحاجة إلى إعادة قراءة تاريخهم بكل جوانبه المضيئة والقائمة ، وعدم التوقف عند سرد مناقب السلف فقط. وقد صدر لي كتاب عن هذا الموضوع، بعنوان : "الخلافات السياسية بين الصحابة : رسالة في مكانة الأشخاص و قدسية المبادئ" .. حاولت فيه بيان الخطر المترتب على الخلط بين المبدأ والشخص في قراءة التاريخ الإسلامي.

إن الذي يتأمل نصوص الشرع ومصائر الأمم يدرك أن الخلط بين المبادئ والأشخاص من أسوأ الأدواء الفكرية والعملية. وقد أمرنا النبي ﷺ باتباع سنته بإطلاق؛ لأنه معصوم: "عليكم بسنتي..". ثم أمرنا باتباع سنة الخلفاء من بعده، لكنه قيدها بالرشد: "وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي". وفي ذلك درس ثمين في التمييز بين الشخص والمبدأ، حتى ولو كان ذلك الشخص أحد الخلفاء الراشدين.

لكن داء تجسيد المبادئ في الأشخاص ساد - بكل أسف- في قراءتنا لحياة السلف، حتى الذين هم غير راشدين منهم كالفاطميين، فاستحال الدفاع عن السلف إلى دفاع عن الظلم السياسي، وتبرير الجبرية والخنوع.

* هل يجوز تغيير الاسم لمدة من الزمن من أجل الحصول على الجنسية، ثم بعد ذلك الرجوع للاسم الأصلي؛ ففي بعض الأحيان يضطر المهاجرون لتمزيق جوازات السفر والتسمي بأسماء أجنبية، مدعين أنهم أصحاب هذه الأسماء وأنهم مواطنون فقدوا

هويتهم فيستخرجون هوية جديدة بالاسم الجديد، ثم بعد ذلك بفترة من الزمن يعودون للاسم الأصلي؟

هذا تحايل وتدليس لا يجوز إلا في حالة الضرورة القصوى، مثل التعرض للاضطهاد في بلد، والحاجة إلى اللجوء إلى آخر. وفي كل الأحوال يجب أن نصدق البلد المضيف حول هويتنا وحاجتنا، إذ من شيمة المسلم الصدق والوفاء.

* هل تعتقدون أن الأنظمة العربية ستحاول إنقاذ نفسها من التدخل الأجنبي ومن غضب شعوبها بفتح قنوات للحوار مع المعارضة الداخلية وإعطاء مساحة للحرية؟

هذا ما نرجوه، فالهوة المتسعة بين الحاكم والمحكوم خطر على الطرفين، بل على الأمة كلها، وشرعية السلطة - بما تثمره من تلاحم الحاكم والمحكوم - هي أقوى درع ضد الاحتراب الداخلي وضد العدو الأجنبي، فكم من شعوب ضعيفة قاومت عدوا ضاريا بفضل قوة التلاحم هذه، وكم من دول سقطت في لحظة أمام أول عدو طارق بسبب النخر الداخلي الناتج عن انعدام الشرعية السياسية واتساع الهوة بين الحاكم والمحكوم. لقد قال الرئيس والكاتب التشيكي فاكلاف هافل بحق: "إن الشرعية هي قوة الضعفاء".

* يدور خلاف بين العلماء فيما يسمى الآن بـ فقه الأقليات، فمن العلماء من يعتبره أحدث بدعة للتلاعب بدين الله، بينما يراه البعض الآخر واجبا شرعيا فما رأيكم في ذلك؟ وما طبيعة الخلاف؟ وماذا يعني فقه الأقليات تحديداً؟

الفقه غير الشريعة، فالشريعة دين والفقه تدين، والشريعة وحي والفقه رأي. لذلك فإني لا أرى ضيراً في وجود فقه للأقليات المسلمة، ينطلق من النظر في ظروفها وأحوالها المخصوصة التي تميزها عن "الأغليات" المسلمة. وفي النظر الفقهي دائماً مجال لاعتبار الزمان والمكان.

وما أكثر الأمور التي نواجهها نحن المقيمين في بلاد غير إسلامية، من دون أن يواجهها إخواننا المقيمون في البلاد الإسلامية، وما أولانا باعتبار الزمان والمكان في التعاطي مع هذه الأمور.

إن فقه الأقليات ليس بدعة مستحدثة، فكتب الفقه القديمة مليئة بأحكام المسلمين المقيمين في دار كفر أو دار حرب، فالجديد هو المصطلح فقط، ولا مشاحة في الاصطلاح.

ربما يكون مرد الخلاف المذكور هو الخلط بين الفقه والشريعة، فلا أحد يقبل بشرعية للأقليات، أو إسلام للأقليات، لكن فقه الأقليات أمر مختلف.

* ينتمي حوالي ١٥% من المسلمين الصينيين إلى الحزب الشيوعي، ويشاركون في مؤتمراته، لكن بعضهم في نفس الوقت يصلون في المسجد ويقيمون بعض شعائر الدين مثل صلاة الجنازة والعيدين، ويلتزمون بأحكام الزواج والطلاق بحسب العرف والعادة، ويدعون أنفسهم مسلمين. وهم مع ذلك يطيعون القوانين الشيوعية في شئون حياتهم طوعا، ويصدون المسلمين عن سبيل الله، ويسخرون منهم، ويفشون سرهم إلى قادة الحزب الشيوعي.. فما حكم هؤلاء؟ هل هم كفار؟ أم مرتدون؟ أم أهل كتاب؟ أم منافقون؟ وكيف نتعامل معهم؟

لا بد أن نفرق بين من ينتسب للحزب الشيوعي إيمانا واعتقادا، ومن ينتسب إليه مسابرة ومصلحة. فالأول كافر باتفاق إن كان يؤمن بمبادئ الشيوعية الإلحادية. والثاني مسلم ضعيف أو مستضعف، والله يعينه بقوة الإيمان، وانتصار الإسلام.

أما طاعتهم لقوانين الدولة المفروضة عليهم فهي من باب الضرورات، والله يغفر لنا ولهم.

وعموما فأنتم لستم قادرين على إقامة قوانين الشريعة العامة في ظروف أقلية، مثلكم مثل جميع الأقليات المسلمة في العالم. بل واجبكم هو العمل على نشر الدين عقائد وأخلاقا ومبادئ عامة، حتى يفتح الله بأمره.

أما واجبكم تجاه هذه الطوائف من المسلمين التي ذكرتها فهي التبشير والتيسير والتشجيع على أي التزام منهم بالإسلام مهما كان شكليا أو جزئيا، وعدم الطعن فيهم أو الإنكار عليهم بجلافة، ومراعاة ظروف القهر والظلم التي يعيشون فيها، وتوحيد كلمتهم جميعا، ملتزمهم وغير ملتزمهم، بما يقوي شوكة الإسلام ويحسن من واقع المسلمين. والله المعين.

• دور جدل بين أوساط الجاليات المسلمة في أمريكا حول جدوى المشاركة السياسية في الانتخابات الأمريكية ومدى مشروعيتها وضوابط الانتخاب. فبينما يرى البعض ضرورة المشاركة من أجل تغيير هذا المنكر الذي بدأ مرحلة الاستعمار والتدمير الأمريكي للعالم العربي والإسلامي، ما زال البعض يقولون بحرمة المشاركة في انتخابات الكفر وبرلمانات الشرك التي لا بد من مقاطعتها. فما تأصيل المسألة فقها؟

أحب لفت انتباه السائل الكريم إلى أمرين يحسن تأملهما، واتخاذهما أصلا ومرجعا في هذا المقام: أحدهما في القرآن الكريم، والآخر في السنة النبوية.

أما الذي في القرآن الكريم فهو سؤال يوسف عليه السلام ملك مصر أن يكل إليه أمر المال العام ليعد خطة تحمي الناس من المجاعة :

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] .. فلم ينظر يوسف عليه السلام إلى كون الملك كافرا مستكبرا، بل نظر إلى حاجة عامة الناس إلى من يقوم بمصلحتهم، ويحمي أرواحهم من الخطر الدايم.

وأما الذي في السنة فقد ورد في قصة الهجرة إلى الحبشة الواردة في مسند الإمام أحمد قول أم سلمة رضي الله عنها أم المؤمنين وإحدى المهاجرات إلى الحبشة: "... وأقمنا عنده [أي عند النجاشي] بخير دار مع خير جار. قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به من ينازعه في ملكه، قالت: فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه، وذلك تخوفا أن يظهر ذلك [الثائر] على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه. قالت: وسار النجاشي وبينهما عرض النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالت: وكان من أحدث القوم سنا. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده. واستوثق له أمر الحبشة...". (مسند الإمام أحمد ٥/٢٩١ ط مؤسسة قرطبة).

فأنت ترى أنه لما ثار على النجاشي ابن أخيه وحاول الإطاحة به، لم يقف المسلمون المهاجرون في الحبشة على الحياد، ولم يقولوا: ملك مسيحي يقاتل ابن أخيه المسيحي، بل لجأوا إلى الله في الدعاء للنجاشي "بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده"، وبعثوا راندهم ليستطلع مآل المعركة، ولو كان عندهم ما يقدمونه غير ذلك لفعلوه. وهذا هو المنظور الذي ينبغي أن ينظر منه المسلم الذي يعيش في الغرب إلى موضوع المشاركة السياسية.

فالمشاركة في الانتخابات الأمريكية بنية ترجيح كفة الخير وتوسيع دائرة العدل مطلوبة ومرغوبة، وليست هي من الولاء للشرك، ولا من العون على الظلم والعدوان.

أما الحكم على البرلمانات بأنها مجالس كفر وشرك، فهو تبسيط لأمر مركب، وبيان ذلك أن الكونجرس الأمريكي - مثلا - ليس هيئة دينية، بل إن الدستور الأمريكي يحظر على الكونجرس سن أي قانون يدعم الدين، أو يقيد حرية الدين.

بمعنى أن الكونجرس ليس مجلس كفر، وإن كان أعضاؤه كفارا، ولا هو مجلس إيمان بالطبع، حتى ولو وجد فيه مسلمون، بل هو ملزم بالحياد في أمور الدين بنص الدستور.

فكل ما يعرض على الكونجرس أو يبادر به الكونجرس هو أمور ذات صلة بالمصالح العامة. ومشاركة المسلم في تحقيق

المصالح العامة واجب شرعي، سواء كانت مصالح المسلمين في أمريكا أو خارجها، أو كانت مصالح غير المسلمين.

فالمسلمون الذين يشاركون في الانتخابات الأمريكية لا ينبغي أن يشاركوا فيها بروح أنانية، أي لتحقيق مصالح الأقلية المسلمة فقط، بل لإنقاذ الأمة الأمريكية كلها من أمراض عقديّة وخلقية واجتماعية مزمنة، تماما كما أنقذ يوسف الصديق من قبل أمة وثنية من المجاعة.

* كثيراً ما تواجهني - وأنا أدعو الله تعالى في أمريكا- إشكالات وأسئلة صعبة من قبل الأمريكان المتفتحين والتي يصعب علي الإجابة عنها، لذلك أنا بحاجة لتوجيه منكم.. حيث إنني عندما أعرفهم بالإسلام كثيراً ما يردون علي بوجود أكثر من إسلام إشارة إلى المذاهب الإسلامية، السنة والشيعية وغيرها.. ويقولون ماذا نختار من بين أكثر من إسلام؟ وكيف نختار وكل إسلام من هذه الإسلامات له نفس الكتب الموجودة لدى الآخر؟

هذا ليس سؤالاً صعباً إذا وضعته لهم في سياق ثقافتهم الدينية، فما داموا يقولون بأن جميع طوائف المسلمين ترجع إلى كتاب واحد، فعليهم أن يقولوا بأنه لا يوجد أكثر من إسلام واحد. بخلاف المسيحية التي يختلف أتباعها حول عدد أسفار كتابهم المقدس؛ فالكاثوليك -

مثلا - يؤمنون بالعديد من الأسفار التي يراها البروتستانت مزورة. وأغلب النصارى يعتبرون التوراة العبرانية (أي الأسفار الخمسة الأولى من "الكتاب المقدس") جزءا من كتابهم، بينما ترى بعض طوائف البروتستانت أن "العهد الجديد" وحده (أي الإنجيل) هو كتابهم المقدس، وهو لا يمثل سوى ٢٥% من مجموع الكتاب الذي يؤمن به النصارى الآخرون.

ويختلف النصارى في أهم مبادئ الاعتقاد، وحول طبيعة المسيح عليه السلام، فمنهم من يعتبره إلهًا، ومنهم من يعتبره بشرا، كما هو شأن "الكنيسة التوحيدية" Unitarian Church في أمريكا وبريطانيا. فهذه المقارنة تعين الداعية الإسلامي على البرهنة لذوي الخلفية المسيحية من مستمعيه على أن الإسلام دين واحد في كل مكان وزمان. ولا يغير من ذلك حصول خلاقات فرعية جزئية.

* حضر وفد من غير المسلمين إلى مركزنا الإسلامي مؤخرا ليتعرف على الإسلام، لكن اتبرى للحديث إليهم العديد من الحضور، وقدموا لهم آراء متناقضة جوابا لأسئلتهم، وانقلبت الصورة إلى جدال أمام غير المسلمين في صورة مزرية، خاصة أن الكلام كان بالإنجليزية ومفهوما للجميع... فما الحل في مثل هذه الأمور؟

مما يعين على التغلب على هذه المعضلة - بإذن الله - أن تكون المراكز الإسلامية أحسن تنظيماً وإعداداً لجلساتها مع زوارها غير المسلمين، حتى لا يتحدث متحدث بغير علم وحكمة.

وهذه مسئولية من يمسك بدفة الأمور في المراكز الإسلامية، فعليهم أن ينبهوا أفراد الجالية إلى مراعاة النظم والترتيبات التي تضمن حسن سير الأمور دون اضطراب أو تناقض أو تعثر.

كما يعين على ذلك أن يتذكر المتحدثون باسم الإسلام عظم أمانة الكلمة، فلا يتسابقون إليها تسابق من لا يقدر قيمتها ولا يدرك خطورتها، ويفهموا خطورة المراء والجدل الذي نهى عنه النبي ﷺ .

* أنا في بكالوريا في فرنسا، ويجب أن أختار تخصصاً السنة القادمة، لكن لا أعرف ما هو العمل الذي ينفع الإسلام والمسلمين سواء في فرنسا أو في بلدي الإسلامي، فكرت في الإعلام لكن خفت ألا يقبلوني، أو إذا قبلوني أن يطلبوا مني تنازلات في الملابس. وفكرت في السياسة، لكن أظن أنهم لن يقبلوني، وفكرت في التجارة ولكن رأيت فيها ربها شخصياً أكثر منها للإسلام، وأنا لا أعرف هل أطلب الجنسية أم لا خصوصاً أنهم سيمنعون الحجاب هل أدرس وأتوجه إلى بلد إسلامي؟ أنا حائرة لا أعرف ماذا أفعل. لقد استخرت الله، لكن أخاف أن أخطئ في تفسير علاماتها.

النجاح في الحياة كلها مبني على العمل والأمل، وألد أعداء النجاح هو الخوف والتهدب المفرط. ومن أهم التخصصات التي يحتاجها المسلمون اليوم في بلاد الغرب تخصص الإعلام، وهو من الجبهات الخطيرة التي أغفلها المسلمون في الغرب مدة مديدة، وقد آن الوقت ليتقدم شبابنا الغيور لسد هذه الثغرة. فإذا ألزمك القانون الفرنسي الجائر بنزع الحجاب، فرأيي ليس الرحيل إلى بلد إسلامي للدراسة، بل الرحيل إلى بلد أوروبي آخر لا يحظر الحجاب، إذ مستوى الدراسة في أوروبا أحسن منه في بلاد المسلمين بكل أسف.

أما الاستخارة فليس لها علامة مخصوصة، بل المهم هو القيام بها بالشكل الشرعي المطلوب، ثم توكلني على الله، واعلمي ما تيسر لك من خيارات بعد ذلك، ففيه كل الخير بإذن الله.

* هل أخذ الناس بالأحوط في بلاد الغرب أولى من التيسير؟ أنتم تعلمون المشاكل الكثيرة التي يتعرض لها المسلمون في الغرب، وخصوصيات وضعهم خاصة في أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر، مما يتطلب نظرة جديدة لكثير من القضايا. ولكن ينادي البعض في جاليتنا أن الأخذ بالأحوط في كل القضايا هو الأولى وهو الذي يقوّي الناس ويجعلهم لا ينحرفون عن دينهم؟

في عالم الفقه يوجد دائماً من يميل إلى عزائم ابن عمر، ومن يميل إلى رخص ابن عباس. أقصد من يشدد ومن ييسر. وكلا

الطرفين ينطلق من قصد حسن، ومن فهم تربوي معين. لكن الذي أنصح به هو التيسير لا التعسير، والتبشير لا التثفير، لحديث النبي ﷺ. وقد يكون الأفضل للشخص أن يتورع ويحْتَاط في حياته الشخصية، خصوصا إذا كان من أهل العلم والقُدوة، ثم يوسع على عامة الناس ما استطاع، ترغيبا في الدين، وتجميعا لعري المسلمين. فنحن في وقت نحتاج فيه إلى الترغيب والتجميع. ومما ينصح به أهل العلم: "لا تُفْتِ الناس بالورع"، أي لا تفتهم بالأحوط دائما، لأن في ذلك مشقة عليهم.

ومدار الأمر كله أن نتبع الراجح الذي يعضده الكتاب والسنة، وندور معهما حيثما دارا توسيعا وتضييقا، مع مراعاة مصلحة الوقت والحال. ولكل مقام مقال.

* أنا مسلمة ملتزمة وزوجي كذلك بفضل الله، ونعيش حاليا في إندونيسيا.. كيف أدعو من لا أعرف لغته، فأنا أشعر بتأنيب الضمير وأنا أراهم يفعلون ما لا يرضي الله، وأتمنى من الله أن يهدي بي رجلا أو امرأة قبل مماتي فهذا خير لي مما طلعت عليه الشمس؟ وكيف يمكنني أن أستغل وقتي في غربتي، وأحافظ على شعلة الحماس بداخلي دون أن تنطفأ؟ فأنا أعيش وحيدة بدون جيران ولا أهل ولا حتى جالية عربية.

لا شيء كالعمل الإيجابي معينا على الغربية، ورأيي أن تبذلي جهدا في تعليم بعض المسلمين هناك لغة القرآن، فأغلب المسلمين يحبون تعلم العربية ويفرحون بها. كما يمكنك تعلم لغة القوم بنية استخدامها في الدعوة، فإن تعلمتها استخدمتها في الدعوة، وإن حالت ظروف دون إتمام ذلك، فأنت مأجورة - إن شاء الله - على نيتك الطيبة، فنية المؤمن أبلغ من عمله كما قال ﷺ .

* ما هي الخيارات أمام الحركات الإسلامية في البلاد الإسلامية إذا منعت من التشكل في أي صيغة قانونية (حزب سياسي مثلا)؟ وما هي الحدود والقواعد للعمل السري؟

من الكتب التي أعجبتني كتاب من تأليف الدكتور سيد دسوقي حسن والدكتور محمود محمد سفر، وهو بعنوان: "ثغرة في الطريق المسدود". والفكرة التي يوحى بها عنوان الكتاب أن أبواب الخير لا تتسد أبدا. فإذا منع الإسلاميون من العمل السياسي، ففي وسعهم التعويض عن ذلك بالعمل الدعوي والتربوي حتى ينفرج الكرب، وبدلا من محاولة كسر الباب الذي انسد، حاول أن تلج من باب آخر. فهناك دائما ثغرة في الطريق المسدود. هذا التصور الإيجابي العملي ينبغي أن يكون هادينا ومرشدنا في عملنا الإسلامي. أما العمل السري فلست من أنصاره، وأرى أنه يضر أكثر مما ينفع، وأسوأ ما فيه أنه يجعل الإسلام جرما، والإسلاميين مجرمين.

صحيح أن لكل قوم ظروفهم، ولا يمكن منع الذين يعيشون تحت القهر من اتخاذ إجراءات تحميهم وتحمي دعوتهم، لكن لا ينبغي اللجوء للعمل السري إلا في حالات الضرورة القصوى، وفي حدود الضرورة فقط.

أما في أمريكا، فنحن نعيش المرحلة المكية من صدر الإسلام، مرحلة "البلاغ المبين والصبر الجميل" كما يدعواها الشيخ راشد الغنوشي - حفظه الله. فتركيزنا ينبغي أن يكون على الأسس والعقائد والفضائل العامة حتى يمكن الله لدينه بين عامة الناس بعونه.

* لقد أسلمت أجنبية على يدي - والحمد لله - وبعد اقتناع وبرغبة قوية منها.. ولقد صامت رمضان مرتين وهي تصلي، ولكنها لا ترتدي الحجاب بسبب المجتمع الذي تعيش فيه، كما أنها ترتدي الملابس القصيرة قليلاً.. أنا حائر إن تركتها ورحلت إلى بلادي.. فماذا أفعل؟

من أجل أن يثمر غرسك الطيب، أعتقد أن من واجبك وضع هذه الفتاة في يد أمينة قبل رحيلك من تلك البلاد، فالغفلة وعدم التواصل مع المسلمين قد يقودها إلى فتور في الإيمان، ثم ردة كاملة والعياذ بالله.

أما كيف تفعل ذلك فبربطها بالمسلمين المقيمين في بلدها، أو مساعدتها على الزواج من مسلم صالح، يكون لها عوناً وستراً، ويأخذ بيدها إلى استكمال إيمانها وإسلامها .

ولا ينبغي أن يكون عدم ارتدائها للحجاب حائلاً دون ذلك، فهي حديثة عهد بإسلام، ولو وجدت الرفيق الصالح لارتدت الحجاب لاحقاً بإذن الله.

* كيف يمكن للمراكز الإسلامية أن تطبق الشورى في ظل وجود تيارات ماسونية وإسماعيلية وصوفية منحرفة تريد أن تمسك بزمام الأمور؟ بعض الناس في إدارة المركز الإسلامي في جاليتنا قال بالحرف الواحد: الديكتاتورية في هذا الموضوع يحبها الله ورسوله لأجل سد الباب أمام هذه التيارات أن تعتلي هذه المنابر وتفسد على الناس دينهم. هل مسألة التخوف من التجربة كاف لرفضها... الناس عندما تنقد إدارة المركز تبدأ بمشكلة انعدام الشورى والديمقراطية، وتظل الإجابة فارغة لا تصب في الموضوع.. فما الحل من وجهة نظركم؟

الشورى في اعتقادي ممكنة في كل الظروف، ووجود اختلال أو اختراق للجالية من طرف تيارات فكرية غير سوية، يحتم الشورى بين صلحاء المسلمين للتعاطي مع هذا التحدي، وفرز ذوي الأمانة والقوة للقيادة.

كما أن المراكز الإسلامية في الغرب بحاجة إلى تسامح أكثر مع طوائف أهل القبلة كلهم، من متصوفة وشيعة وغيرهم، ولا أقصد الخارجين من الملة تماما، مثل الإسماعيلية الباطنية.

فالتعامل الإيجابي هو الذي يعين المنحرفين إلى إدراك انحرافهم، أما التعالي عليهم، ومجانبتهم بتكبر، فهو ما يجعلهم يدافعون عما عندهم من انحراف ويحرصون عليه، تعبيرا عن الدفاع عن الذات.

* كيف يمكن الاستفادة من الإنترنت في الدعوة بالغرب؟ وما هي الاحتياطات اللازمة في التعامل بهذه الوسيلة؟

الإنترنت من أكبر نعم الله في هذا العصر، فقد قرب البعيد، وعمق التواصل بين المسلمين في كل مكان، وسهل الحصول على المعلومات بشكل لم يعرف له التاريخ مثيلا من قبل. وواجب دعاة الإسلام ووعاته شكر هذه النعمة بترويضها وتوظيفها في خدمة دين الله، وإيصال رسالة الحق.

وقد سبق لي أن نشرت دراسات عن توظيف الإنترنت في العمل الإسلامي، شرحت فيها أثره في مجالات ثلاثة هي البناء التنظيمي، والعمل الإعلامي، والنضال السياسي، إحداهما بعنوان "السياسة والإعلام في عصر الإنترنت"، والثانية عن "البناء التنظيمي"

في عصر الإنترنت"، والثالثة بعنوان: "الإنترنت.. ثورة الفقراء في عصر التواصل". فيمكن الرجوع إليها لمزيد تفصيل وتعميق.

* ما هي الشروط اللازمة توفرها في الداعية؟ فكثيرا ما يدعوني أصحابي إلى الخروج معهم، لكني لا أجد نفسي مؤهلا لهذا العمل .

كل مسلم رشيد قوي الإيمان مؤهل لأن يكون داعية، لكن عليه أن يدعو إلى ما يعلم فقط. وما أكثر المعلوم من الدين بالضرورة، كوجوب الصلاة والزكاة، واجتناب الخمر والفواحش، ووجوب صلة الرحم وبر الوالدين... إلخ. فلو أننا كلنا دعونا إلى هذه المبادئ لانتهدت كل أمراضنا الاجتماعية والخلقية. وهي مبادئ لا تحتاج علما أو فصاحة للدعوة إليها.

صحيح أن الدعوة أوجب على أهل العلم واللسان من غيرهم، فنبي الله موسى عليه السلام طلب نصرة أخيه هارون عليه السلام؛ لأنه أفصح منه لسانا. لكن ذلك لا يعني عامة المسلمين من الدعوة إلى ما يعرفونه من دين الله يقينا.

ثم إن رأيت أنك غير مؤهل سلوكيا للدعوة، فاعلم أن دعوتك للناس دعوة لنفسك كما قال الشاعر:

قلت أمري سواي أمر نفسي وبكي الصحيح يبرا الأعر

وأبلغ من الشعر قول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

* عند النظر إلى مناهج التغيير التي تتبناها الحركات الإسلامية نجدها تنحصر في أربع: نظرية بناء الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة ثم المجتمع وهكذا.. كما عند الإخوان المسلمين ولم يثبت نجاح هذه النظرية. ونظرية طلب النصر كما عند حزب التحرير وهذه أيضا أثبتت فشلها. ونظرية التغيير عن طريق القوة العسكرية وهذا أثبتت فشلها كما أن أصحاب هذه النظرية تخلوا عنها. ونظرية التغيير عن طريق المجالس النيابية وهذه أيضا لم يكتب لها النجاح. فما هي النظرية المطلوب تبنيها لتغيير واقع الأمة؟

إن المنتبِع لمسيرة الحركات الإسلامية المعاصرة، المتأمل في الثمن الفادح الذي تدفعه، والتعثر الواضح في مسيرتها - رغم تعاضم الصحوه المستمر - يدرك بسهولة أنها تعاني من أزمة منهجية عملية، لا تزال تشل عملها، وتعوق وصولها إلى الغاية. وهو أمر عير عنه البعض بأن "الإسلاميين يعرفون ما لا يريدون أكثر مما يعرفون ما يريدون" أو "أنهم يجيدون صناعة الموت أكثر مما يجيدون صناعة الحياة". ويمكن أن نعبر عنه بتخلف الثقافة العملية.

لكن لا ينبغي أن نكون متشائمين جدا أو متسرعين بالحكم بالفشل على جميع التجارب الإسلامية.

أنا أعتقد أن التجارب التي ذكرتم لها حظها من النجاح ومن الإخفاق، ووسائلها كلها وسائل تصلح في بعض الظروف من دون بعض. كل ما في الأمر أن نضع الوسيلة في موضعها. وهذا هو التحدي اليوم: استقراء الواقع، ووضع الأمور في موضعها.

ومهما يكن فمن شأن المسلم الجد والاجتهاد في مسعاه، وبذل الجهد الذي يناسب عظم رسالته. وقد أحسن الحافظ ابن الجوزي إذ قال: "من عزم على أمر هياً آلاته، لما كان شغل الغراب الندب على الأحباب، لبس السواد قبل النوح".

ولمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع أرجو مراجعة مدخل كتابي "الحركة الإسلامية في السودان.. مدخل إلى فكرها الاستراتيجي والتنظيمي".

* أكتب إليكم هذه الرسالة وحياتي الزوجية على حافة الانهيار، حيث اكتشفت بعد الزواج أن زوجتي منضمة لإحدى الجماعات الإسلامية المحظورة من قبل النظام الحاكم في دولتنا، وقد تم استجوابي وأثناء الاستجواب اكتشفت أن الاستخبارات في بلدي ليست من زوجتي ببعيدة، حيث إنهم يعرفون نشاطها في إطار

الجماعة المنضمة إليها... وعلى إثر الاستجواب قررت أن أمر زوجتي بالابتعاد عن تلك الجماعة مع المحافظة على سميتها المتدين والتمسك بدينها وعفتها، ولكن الطامة التي هالنتني هو عدم استجابة زوجتي لطربي وعدم اكتراثها بعواقب الأمور، واشتد الأمر واحتد، ونحن الآن على قيد شبر من الطلاق فهي متمسكة بموقفها مهما كان الثمن، وأنا لن أرضى بأن أعيش تحت وطأة نظام ظالم على الرغم من محاولتي إقناع زوجتي أن تخليها عن أفكارها التنظيمية لن يعني أبداً بالنسبة لي تخليها عن دينها والتزامها، ولكن المشكلة أن مسألة الالتزام والتدين عندها مرتبطة على طول الخط باعتناق أفكار الجماعة التي تنتمي إليها... أفيدوني قبل أن أطلق زوجتي وأتبي حياتي... هل من رسالة توجهونها لزوجتي لتمسك برباطنا معاً. جزاكم الله خيراً.

ملاحظة: أنا لست أبداً ضد فكرة العمل للدين في إطار تنظيمي ولكنني أعاني من وطأة نظام ظالم مستفز من شأنه أن ينقص حياتي في أي وقت؛ نظراً لوضعي الوظيفي المرموق ومن ثم المراقب دائماً.

من واجب زوجتك وواجبك أنت العمل للإسلام بما تستطيعانه، ولا ينبغي أن تمنعها من العمل لله تعالى. لكن يجب عليها أيضا مراعاة رأي زوجها في أعمال الطاعات التي تدخل في باب التطوع كالانضمام إلى حركة إسلامية سياسية تسعى لإصلاح شأن المسلمين. فقد نهى النبي ﷺ أن تصوم المرأة تطوعا وزوجها حاضر بدون إذنه. والعمل الدعوي أو السياسي الذي تمارسه زوجتك هو من جنس عبادة التطوع. فعليها أن تعمل من الأعمال ما يأذن به زوجها ولا يخرجه، وعليه ألا يمنعها من خير لمجرد الخوف أو القلق، فطريق الحق ذات شوكة. والحل الأمثل في ظروفكما الآن - والله أعلم - أن تتفقا على عمل دعوي معين تقوم به زوجتك وتعينها فيه، في إطار غير الإطار الذي تعمل فيه الآن. فأطر العمل الإسلامي كثيرة، وأبواب الخير لا حصر لها. والله يوفقكما.

* هل العمل في مقاهي الإنترنت حرام، حيث بعض رواده يزورون مواقع خليعة مثلا؟

الإنترنت وسيلة يدور حكمها مع غايات الاستعمال جوازا وتحريما. وهي نعمة من نعم الله تعالى العظيمة، التي يحمدها بعض الناس فيستخدمونها في الخير، ويكفرها آخرون فيستعملونها في السوء.

فعملك في مقهى الإنترنت ليس حراماً إن شاء الله، وعلى المستعمل وزر استعماله وله أجره بحسب الحالة.

وعليك بذل الوسع في النصح لمن يرتكب المعاصي على الإنترنت، وتشجيع إدارة المقهى على وضع ضوابط ملزمة لزيائنها في هذا الشأن. وليس لك أن تتجسس على المستخدمين أو محاولة الاطلاع على رسائلهم الخاصة، أو نوعية المواقع التي يتصفحونها.

* أرجوكم أغيثوني.. أتعذب وأكاد لا أنام مطلقاً من التفكير.. أنا محجبة منذ ستة عشر عاماً، قد تعتقدون أنني موقفة الآن وثابتة الإيمان بحجابي. لكن الشكوك تملأ رأسي بسبب كل ما يقال من الصحف والمجلات وأشخاص أحترمهم وأثق بعقلياتهم عن أنه لا دليل على الإطلاق على أن الإسلام يطالب المرأة بتغطية شعرها.. نعم يطالبها بتغطية منطقة الصدر والخصر والرقبة، وبارتداء ملابس طويلة ، ولكن ما من دليل على أنه يطالب بتغطية الشعر إلا حديث واحد (إلا هذا وهذا) وهو حديث ضعيف لأبي داود. وقد مللت من الكلام غير المقتع. أريد دليلاً ملموساً على أن هناك نصاً محدداً حول تغطية الشعر، أرد به على من يجادلون وأوقف هذه الشكوك في رأسي .

توجد أدلة عديدة من الكتاب والسنة على وجوب الخمار - غطاء الرأس - على المرأة المسلمة. أغلب هذه الأدلة عمومات آيات وأحاديث، لكن بعضها مفصل تفصيلا لا ينكره غير مكابر. ومن هذا الصنف الأخير حديث الطبراني عن عتبة بن عامر أن أخته نذرت أن تمشي إلى بيت الله حافية حاسرة. فمر بها رسول الله ﷺ فقال: " ما شأن هذه؟ " قالوا: إنها نذرت أن تمشي إلى بيت الله حافية حاسرة. قال رسول الله ﷺ: " مروها فلتختمر ولتركب ولتتحج". وهو حديث صحيح كما قال العلامة المحدث ناصر الدين الألباني. وفي رواية أخرى "وتغطي شعرها" بدل: "تختمر". وليس هناك اتفاق بين العلماء على تضعيف حديث أسماء في سنن أبي داود، وهو الحديث الذي أشرت إليه، بل إن الشيخ الألباني يرى أن له متابعات تعضده، وترفعه إلى درجة الصحة، أو الحسن على الأقل. فالذين يشككون في وجوب الخمار يحاولون التملص من معاني الآيات العامة بتأويلها، لكن الأحاديث صحيحة وصريحة بوجوب الخمار، وفيها كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

* ماذا يجب على المسلمين في بريطانيا والغرب أن يعملوا لكي يعكسوا صورة الإسلام السمحة؟

إن الصورة الشوهاء عن الإسلام في الغرب نتاج لعوامل

أربعة:

- ١- الصراع التاريخي القديم بين الإسلام والمسيحية الذي ترك رواسب في الذهنية الغربية من الصعب امحاؤها.
- ٢- وما يفعله غير المسلمين بالمسلمين من ظلم ثم محاولتهم تبرير ذلك بتقديم صورة مشوهة عن الإسلام يشرعون بها ظلمهم.
- ٣- وما يفعله أفراد من المسلمين لا يلتزمون بأخلاق الحرب في الإسلام فيقتلون أبرياء أحيانا بحجة المعاملة بالمثل.
- ٤- وواقع المسلمين المتخلف وهوانهم بين الأمم، مما ينعكس سلبا على رسالتهم.

فالحل بتثقيف الغربيين عن الإسلام، ومقاومة ظلمهم وعدوانهم على المسلمين، مع التزام خلق الحرب في الإسلام، الذي يلزم المسلم أن يكون نبيلاً في تعامله مع الأسرى وغير المقاتلين، ثم العمل على تغيير واقع المسلمين ليرى الناس منهم ما يسرهم ويجذبهم إلى الإسلام.

ولعل أهم مهمات الجاليات المسلمة في الغرب هو السعي إلى مصالحة تاريخية بين الغرب والعالم الإسلامي، ترفع الظلم عن المسلمين، وتحفظ للغرب مصالحه دون إحفاف بالمسلمين، وترفع الحواجز بين الإسلام وبين عامة الناس في الغرب .

* احتج البعض بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] على أنه لا بد لمجهول الحال أن يأتي بما يثبت اجتنابه للطاغوت حتى يثبت له الإسلام، وعليه فإته حتى عامل التنظيف الذي يخدم الحكومات العثمانية كافر.

هذا الاحتجاج ساقط من وجهين:

- ١- أنه "لا يجوز الامتحان في العقيدة" كما قرر العلماء، فالأصل في المسلم حسن الظن بأخيه، وليس لنا التتقيب عن ما في الضمائر.
- ٢- ليس كل مرتكب كفرا كافرا، بل قد يقول الإنسان القول أو يفعل الفعل المخرج من الملة من الناحية النظرية، من دون أن نحكم عليه بالكفر.

فالحكم على القول أو الفعل ليس بالضرورة حكما على الشخص المعين، إذ الحكم على معين بالكفر أمر عظيم، ولا يكون حكما صحيحا إلا بتوفر شروط كثيرة، منها ألا يكون متأولا، أو معذورا بالجهل أو بالاضطرار... إلخ، وقد فصل ابن تيمية هذه القاعدة الأصولية تفصيلا حسنا، فيحسن الرجوع إلى كتبه.

* أنا من فلسطين والكل يعلم ما يحصل لنا من مضايقات واعتقالات، وعندما يعتقل الشاب منا يخضع لعدة أسئلة مثل: هل يعرف

مكان المطلوبين أو يعرف شيئا عن المسؤولين عن عمليات ضد الإسرائيليين وغيرها، وعند الانتهاء من تلك الأسئلة يسألونك إن كنت مستعداً أن تقسم على المصحف الشريف، ولكي يثبت المعتقل أنه بريء يقسم كذبا. واليهود لا يصدقوننا أصلا، ولكن هذا القسم يبعد عن المعتقل بعض الأذى، فسؤالي هل هذا حرام؟ وماذا نفعل إذن؟

الكذب في الحرب جائز، خصوصا إذا ترتب على قول الحقيقة إضرار بالغير من الأبرياء وضحايا الاحتلال والقمع. وقد دلت السنة على ذلك، فقد قال النبي ﷺ: "الحرب خدعة". ولا يتوقع عاقل - مسلما كان أو غير مسلم- أن يصرح المتحاربون بنواياهم وخططهم لبعضهم البعض. وكل الحرب النفسية التي أصبحت اليوم جزءاً من أي استراتيجية عسكرية تتطلق من هذا المنطلق. وعلى ذلك، فإنه يجوز لك أن تكذب على قوى القمع المحتلة إذا كان في ذلك رفع للأذى عن نفسك، أما إن كنت تدرأ الأذى عن غيرك من ضحايا الاحتلال والقمع فإن الكذب في هذه الحالة واجب، وليس جائزا فقط.

* لماذا لا نترك السياسة وننشغل بالتربية حتى يتغير المجتمع، ويصبح مؤهلا لإقامة الدولة الإسلامية؟

أعتقد أن فكرة "التربية الانتظارية" - بمعنى الانسحاب من الشأن العام والتفرغ للتربية- فكرة خاطئة، رغم شيوعها في أدبيات

بعض الإسلاميين. فهذا النوع من التربية امتداد لفكر عصر الانحطاط وما شاع فيه من دروشة وخنوع. أما التربية الإسلامية الصحيحة فهي تركيب من العلم والعمل، الزهد والقوة، العبادة والسياسة.

* طالما تعالت صيحات أنه بسبب كثرة الطوائف والمذاهب الموجودة في لبنان فلا يمكن أن تُقام خلافة إسلامية فيه .. فهل هذا سبب كاف لتدمير حلمنا بالخلافة في لبنان؟

ليست إقامة الخلافة في لبنان أمراً مطلوباً اليوم، إذ من شرط الخلافة الإسلامية وجود الغالبية المسلمة وتوحد الأمة الإسلامية. أما لبنان بتنوعه الديني الحالي فغاية ما يحققه المسلمون فيه، هو الحفاظ على الكيان المسلم، والدفاع عن حقوق المسلمين، ضمن نظام ديمقراطي يسع الجميع. أما حين تتوحد الأمة من جديد، أو تتوحد منطقة الشام الكبرى التي ينتمي إليها لبنان فيمكن حينذاك الحلم بإقامة دولة إسلامية تكون نواة لخلافة إسلامية. علي ألا نفهم من الخلافة الشكل القديم، وإنما نوعاً من الكونفدرالية التي تضم دولاً مسلمة

تتسق أمرها فيما بينها، على غرار الاتحاد الأوروبي اليوم، وتتبنى الإسلام مصدراً للثقافة والقيم والتشريعات. ولا بد أن تكون هذه الخلافة ديمقراطية تسع جميع مواطنيها وتضمن حقوقهم، مسلمين وغير مسلمين. فالمطلوب هو روح الخلافة وليس شكلها التاريخي.

* كيف ستمكّن الحركات الإسلامية من الوصول إلى إقامة حكم إسلامي؟

الحركات الإسلامية حملت هم التغيير، لكنها حتى الآن لم تبتكر الوسائل الكفيلة بتحقيقه. وهذا هو جوهر المعضلة التي نعيشها اليوم.
فالحاكم المفلس أخلاقياً وفكرياً وسياسياً يملك وسائل البقاء، والمعارض الذي يحمل رسالة التغيير لا يملك وسائل التغيير. لذا فلا يزال ميزان القوة يميل لصالح السلطة الفاسدة. أما الحل فهو شحذ وسائلنا وتجديدها باستمرار، حتى يتحول حلم التغيير واقعاً. ولعل أهم عقبة أمام التغيير الإسلامي هي عجز الإسلاميين عن تحييد الجيوش، وإخراجها من نطاق السياسة، فنحن أمة محكومة بالقوة والقهر. وقد كتبت تحليلاً مطولاً في موقع الجزيرة نت عن "الجيوش العربية من الانقلابات إلى الثورات" يشرح الطرائق التي يمكن اتباعها في هذا الشأن: غزواً للمؤسسة العسكرية من خارجها، أو اختراقها من داخلها، أو تحييدها سياسياً.

* ما هو الموقف الشرعي من المجاهدين الذين قد يرتكبون أحياناً أفعالاً غير مقبولة بميزان الشرع؟ هل نتبرأ منهم ومن جهادهم أم نتغاضى عن أخطائهم تعظيماً لجهادهم؟

لا هذا ولا ذلك.. فقد ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد" ثلاثاً، وذلك

حينما ترخص خالد ؑ في قتل قوم أظهروا الإسلام.. وفي ذلك درس لنا أن المجاهد ليس فوق النقد، بل هو بشر يصيب ويخطئ، فالواجب بيان خطئه إذا أخطأ، والتبرؤ من فعله إذا أساء، من دون التبرؤ من مبدأ الجهاد، الذي هو ذروة سنام الإسلام، أو التبرؤ من المجاهدين الذين هم درع الأمة وحصنها الحصين. فالنبي ؑ تبرأ من فعل خالد ابن الوليد، لكنه لم يتبرأ من خالد، ولا عطل الجهاد بسبب أخطاء خالد، بل ظل خالد أحد قادة الكبار بعد التبرؤ من فعله ذلك. وهذا أمر دقيق المسلك نحتاج إلى تدبره بروية. ومهما يكن فإن العمل الإسلامي الذي سيبقى ويثمر هو العمل الذي يلتزم شرعية الأهداف والوسائل كليهما، لأن الله تعالى طيب ولا يقبل إلا طيبا. وتلك هي الوسطية التي نحتاج التأكيد عليها اليوم. على أن استعمال القوة لا يحكم عليه في ذاته بالقبول أو الرفض، إذ قد يكون شرعا في بعض الظروف، وغير شرعي في ظروف أخرى.

* هل فشلت الحركات الإسلامية في اجتذاب النخبة؟

لا أعتقد أن الحركة الإسلامية فشلت في اجتذاب النخبة، بل إن من مشكلات بعض الحركات الإسلامية أنها نخبوية أكثر من اللازم، ولم تستطع مد أجنحتها إلى عامة الناس. ومن أبلغ أمثلة ذلك "الجماعة الإسلامية في باكستان"، فنظامها الذي كان يصنف الأعضاء إلى "أركان" و"متفقيين" نظام جامد ضيق. وقد نشرت عن تجربة

"الجماعة" في هذا الشأن مقالا بعنوان: "هاجس التميز ومخاطر الانعزالية".

قد يكون من الحق القول إن بعض الحركات الإسلامية عجزت عن استيعاب العديد من أهل الفكر والقلم، ولعل من أسباب ذلك حاجة المفكرين إلى حرية الرأي، وضيق بعض الحركات الإسلامية بهذه الحرية. كما أن من أسبابه "سطحات" بعض المفكرين والكتاب، وإغراقهم في التنظير بعيدا عن الوقائع التي تعيشها الأمة، واغترارهم بالقوالب الذهنية المجردة التي يتصارعون بها وعليها.

لكن فشل الحركات الإسلامية في اجتذاب العوام، وصياغة خطاب يفهمونه ويستوعبونه هو الفشل الأكبر في هذا المضمار. والعوام هم وقود التغيير ومادته.

* لطالما فكرتُ في وضع حركة الإخوان المسلمين في مصر بالتحديد .. ولا يخفى عليك ما تلقاه من سجن لأبنائها بمناسبة وأغلب الأحيان من دون مناسبة .. وطالما أنها تلقى ما تلقاه فلم لا تثور في وجه الحكومة وتكون غضبة رجل واحد؟ فلتقم الثورة .. هل ستسجن الحكومة نصف الشعب؟ أم يجب أن يعود الإمام حسن البنا ليشعل قلوب الشباب قبل أن تعاود قتله اليد الغادرة الآثمة؟

الأمر لا يخص الحالة الإسلامية في مصر، بل هي حالة عامة في عموم الأمة. فلن تتحرر الأمة من قيودها إلا إذا دفعت الشعوب الإسلامية ثمن الحرية، وواجهت الحكام المستبدين. والذي يعتقد أن المواعظ وحدها ستنزل المستبدين عن عروشهم واهمّ. فعبرة التاريخ تعلمنا أن أي أمة لا تتحرر إلا إذا أصبح الشعب قادرا على قهر الدولة وامتلاكها. وليس المطلوب أن تتحرك حركة إسلامية وحدها، بل المطلوب من الحركات السياسية كلها، إسلامية وغير إسلامية؟ أن تحرك الشعب وتعبئه لمعركة فاصلة مع الحكام الذين يستعبدون الأمة. لكن مسؤولية الحركات الإسلامية في التنسيق مع القوى السياسية الأخرى، وفي قيادة الموكب، أكبر من مسؤولية غيرها، لأنها تدرك أن مقاومة الاستبداد هي أعظم الجهاد عند الله.

* ما هي صفات الفرقة الناجية في زماننا هذا حتى تكون مبرئة للذمة أمام الله تعالى؟

إن أحاديث الفرق الهالكة والفرقة الناجية من الأحاديث التي أثار جدلا واسعا قديما وحديثا، ودخلت التعصبات المذهبية والطائفية في تأويلها. رغم أن الأحاديث واضحة الدلالة في أن الفرقة الناجية تتعين بالوصف لا بالتعيين. فأغلب روايات الحديث فيها: "قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي" (صحيح الترمذي)، وبعض رواياته: "قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: هي

الجماعة" (قال الأبناني: إسناده حسن لغيره). وفي إحدى رواياته الضعيفة: "كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم".

وأنا لا أرى وجها لمحاولة كل من الأشاعرة وأهل الحديث في الماضي احتكار مسمى الفرقة الناجية لأنفسهم، كما لا أرى وجها لمحاولة بعض الجماعات السلفية اليوم احتكار هذه الميزة. فإن أي مسلم بذل جهده لاتباع ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو من "الفرقة الناجية". وليس من اللازم أن توجد هذه الفرقة في زمان واحد أو مكان واحد. بل قد تكون مجموع أناس عاشوا في قرون مختلفة. كما أن الرواية التي جعلت الفرقة الناجية هي "الجماعة" تعطينا الأمل أن أغلب المسلمين داخلون في معنى الفرقة الناجية. وهذا التأويل أحب إلي من التأويلات الطائفية السائدة.

* كثيرا ما نسمع فقهاء زماننا يحذرون من مقاومة الظلم السياسي، ويدعون إلى طاعة كل حاكم، حتى ولو كان غير شرعي.. ما العمل مع هذا؟

إن الحكام المستبدين من غليظ المنكر الذي يجب على كل مسلم تغييره. ويقتضي اتباع النبي ﷺ وأصحابه الكرام هذ عروش الظلمة الذين يستعبدون الناس ويتحكمون في أنفسهم وأموالهم من غير حق. وقد رفع الخلفاء الراشدون عن الشعوب ظلم الأكاسرة والقيصرة

والأباطرة، فلما رجع الظلم إلى ديار الإسلام مع تحويل الخلافة إلى ملك، قاومه خيرة الصحابة وبذلوا أرواحهم في سبيل تغييره، كما حدث في ثورة الحسين بن علي، وثورة عبد الله بن الزبير، وثورة أهل المدينة ضد يزيد، وثورة التوابين في العراق التي قادها الصحابي الجليل سليمان بن صرد، وثورة الفقهاء بعد ذلك بقيادة عبد الرحمن ابن الأشعث.. أما عدم نجاح هذه الثورات فهو لا يطعن في سلامة منطلقها وشرعية فعلها، وإنما يقول ذلك متأخرة الفقهاء الذين اعتادوا التكيف مع الواقع وتبرير الظلم السياسي. ومهما يكن فإن أولئك الصحابة الذين حملوا السيف ضد الاستبداد أبقوه في الإسلام من أي فقيه متحذلق يأتي بعدهم. ولذلك قال ابن حجر إن مذهب السيف "مذهب للسلف قديم، ولكن استقر الأمر على ترك ذلك". ومقصوده بمذهب السيف مقابلة الحاكم الجائر. فحري بمن يريدون اتباع السلف أن يأخذوا بمذهب السلف القديم، ويرفعوا ظلم المستبدين عن أمتهم، ولا تستعبدتهم مقولات المتأخرة من الفقهاء .

على أن الشرع المبني على جلب المصالح ودرء المفسد يقتضي من الطامحين إلى التغيير الاجتهاد في تقليل ثمن التغيير من الدماء والأموال إلى أقصى حد، وعدم الانجراف إلى المواجهات الهوجاء، التي تتحول من حرب على الحاكم الظالم إلى حرب على الشعب المظلوم.

* الديمقراطية تعني سيادة الشعب.. فما مدى مطابقتها لسيادة الإسلام وحكم الله تعالى؟

اعتاد الناس في بلاد الإسلام أن يضعوا حكم الله مقابلاً لحكم الشعب، وهذا مصدر اللبس في نظرة العديد من المسلمين إلى الديمقراطية بمنظار أسود. كما أن بعض المسلمين لا يميزون في الديمقراطية بين ما كان شكلاً إجرائياً وما كان مضموناً قيمياً. والحقيقة أن حكم الأمة المسلمة لا يناقض حكم الله تعالى، وهذا معنى عصمة الأمة، وهو أيضاً المعنى الأصلي للإجماع. فالإجماع الوارد في السنة مفهوم سياسي، قبل أن يتحول إلى مصطلح فقهي بعد ذلك كما بين العلامة علال الفاسي - رحمه الله.

أما الديمقراطية ففيها ما هو شكل إجرائي، مثل التصويت، وحكم الأغلبية، وتشكيل الأحزاب.. الخ، ومنها ما هو قيمي مثل نوع التشريع الذي يتم إقراره في البرلمان. أما الشكل فهو مفيد وهو خبرة بشرية متراكمة. وأما القيم فتختلف من مجتمع لآخر. فقد يصوت البرلمان البريطاني أو الأمريكي على قانون يبيح عمل قوم لوط، بينما يصوت البرلمان الإيراني أو السعودي على قانون يحرم لك. وكلا العمليتين تمتا بصيغة ديمقراطية. فنتيجة الديمقراطية في مجتمع مسلم ستأتي بأحكام الإسلام من دون ريب، ونتائجها في مجتمع غير مسلم

ستأتي بغير ذلك، ولا يتوقع منها غير ذلك. فالمعركة من أجل الديمقراطية اليوم هي جزء من المعركة من أجل الحياة الإسلامية، والديمقراطية هي الطريق إلى الإسلام، وليست انحرافا عنه. وللتوسع في هذا أرجو مراجعة مقالي على موقع الجزيرة نت بعنوان "الشرعية قبل الشريعة" فهو يوضح هذه الفكرة بتفصيل.

* يرى البعض أن تقسيم علوم الدين إلى (عقيدة) و(شريعة) شكل بداية الخطأ المنهجي الإسلامي في فهم الدين، فما رأيكم؟

إذا نظرنا إلى التصنيفات الاصطلاحية في سياق الامتداد الزمني، نجدها تبدأ أداة منهجية مفيدة، ثم تتحول عبئا فكريا وأخلاقيا بعد ذلك. وليس هذا الأمر خاصا بثنائية العقيدة والشريعة فقط، بل هو يشمل ثنائيات أخرى مثل السنة والشيعية، وغيرها. أنا لا أرى فائدة من استخدام مصطلح "العقيدة"، بل أرى أن مصطلح "الإيمان" أفضل وأولى؛ لأن مصطلح العقيدة تحول مفهوما نظريا فلسفيا، فأصبحت علامة حسن إسلام المرء مجرد "إعلان مبادئ" يدعي فيها التزامه بـ"عقيدة السلف" أو "عقيدة أهل السنة والجماعة"، حتى ولو كان أقل الناس التزاما بمقتضيات الدين عمليا.. بينما استخدام مصطلح الإيمان يرجعنا إلى المدلول العملي للإسلام، ويصبح التفاضل على أساس التقوى والالتزام والمجاهدة لخدمة الإسلام، ولأن الإيمان قول وعمل

وهو يزيد وينقص، فإن استخدام مصطلح الإيمان يجعل المسلم أكثر تواضعا وأقل تبجحا مما هو الحال اليوم، حيث يسود الادعاء العريض باتباع "المنهج الصحيح" في الاعتقاد.

نقطة أخرى مهمة وهي أن الصحابة - كما روى عنهم ابن تيمية رحمه الله - كانوا يتعاضدون في الأمور النظرية أكثر من العملية، فالذي يخطئ - بحسن نية - حتى ولو في أمر من أمور العقيدة لا يعنفونه، أما الذي يستهتر بالدين عمليا - وهو يعي ما يفعل - فهو الذي يجد منهم التعنيف والمقاومة. وبعض الآراء التي صدرت عن بعض كبار الصحابة - مثل القراءات الشاذة - لو قال بها اليوم أحد المسلمين لحكم عليه الناس بالكفر، لكنك تعجب حينما لا تجد من الصحابة نكيرا على ذلك، وما ذلك إلا لأنهم غلبوا العمل على الجدل، وجعلوا الالتزام العملي معيارا للتفاضل، لا الإعلانات النظرية.

* ألا ترى أن من الضروري الفصل بين فهم الفقيه الذاتي وبين الحقيقة الموضوعية المعروضة في النصوص الشرعية، وهل تعتبر مفاهيم الإمامة والخلافة مفاهيم عقائدية أم أنها مفاهيم اجتماعية؟

الفصل بين "فهم الفقيه الذاتي" وبين "الحقيقة الموضوعية المعروضة في النصوص الشرعية" ليس بالأمر السهل، لأن هذه

الحقيقة الموضوعية لا تكشف ذاتها لنا دون وسائط، بل هي تأتينا في شكل شروح وحواشٍ وتفسيرات من أهل العلم. ومع ذلك فإن هذا الفصل أمر لازم لكل تجديد. وقد دعا مالك بن نبي - رحمه الله - إلى "تجريد الآيات القرآنية من الغواشي الفقهية والفلسفية والتاريخية"، وهو قريب مما تكرمتم به.

إن الفكر الإسلامي في مسيس الحاجة إلى مراجعة آياته، وعدم التسليم بالمسلمات دون فحص أو مراجعة. وأول طريق إلى هذه المراجعة هي الفصل بين الوحي والتاريخ، والتحرر من خطأ الخلط الضمني بينهما في المرجعية.

* ألا ترى أن مفهوم "الحركة الإسلامية" أو "الجماعة الإسلامية" أصبح تقليدياً، غير منسجم مع تطور الأنشطة الجماعية البشرية المعاصرة؟ وأنه آن الأوان لتحل محلها مفاهيم "القيادة" و"العمل التطوعي" و"التنظيم الإداري" التي لا تضيء أي قداسة باسم الدين على شكل الجماعة، وإن كان منهجها ونشاطها يهدفان إلى إقامة الحياة الإسلامية، وأن الأولى أن يصبح العمل الإسلامي قائماً على علوم الإدارة الحديثة القائمة على تجميع الإسلاميين على قاعدة التخصص، تنتفي معه مفاهيم "البيعة" و"الإمارة"؟

أعتقد أن مفهومي "البيعة" و"الإمارة" مفهومان سياسيان، وليسوا مفهومين اعتقاديين، لكن هذا لا يعني أنهما ليسا جزءاً من الدين، بل هما جزء أصيل من مقاصد الدين في تحقيق مصلحة الجماعة.

والإسلام دين محوري يستقطب حياة الفرد والمجتمع كلها. ولا ينفي ذلك الحاجة الملحة للاعتراف من الفكر الإداري والسياسي المعاصر. فليس العيب في "البيعة" و"الإمارة"، فكلاهما مفهوم شرعي وعملي أصيل، بل فيما نضفيه أحيانا على هذه المفهومين وغيرهما من معان ودلالات لا تتسجم مع روح الشرع في العدل والحرية والديمقراطية.

فما نحتاجه اليوم هو التحرر من الوثنية السياسية السائدة في العالم الإسلامي الآن، والانطلاق من أن الأمير أجير، وليس ربا معبودا، وأن الحركة وسيلة لا غاية، وأن البيعة التزام لا إلزام... الخ. وقد أورد الحافظ الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء" أن التابعي الزاهد أبا مسلم الخولاني دخل على معاوية بن أبي سفيان، أيام ملكه بالشام، فقام بين السماطين، فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: مة، فقال معاوية: دعوه فهو أعرف بما يقول، و عليك السلام يا أبا مسلم. ثم وعظه وحثه على العدل.

وذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" في ترجمة الشاعر المتنبّي أن المتنبّي مدح مرة أحد الملوك بأسلوبه المغالي، فقال:

يا من ألوذ به فيما أوّله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عما أنت كاسره ولا يهيضون عما أنت جابره

ثم عقب ابن كثير بأن ابن القيم أخبره أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان يقرأ هذين البيتين في سجوده، ويقول: "لا يصلح هذا لغير الله". فالوثنية السياسية ضاربة بأطنابها في ثقافتنا، والأصنام البشرية حلت محل الأصنام الحجرية، ولا سبيل لنا سوى التقيد بوصية الشاعر محمد إقبال في نبذ منهج آزر، واتباع ملة إبراهيم عليه السلام وهو يحطم الأصنام:

نحت أصنام آزر صنعة العاجز الذليل
والذي يطلب العلا حسبه صنعة الخليل

* كلنا قد رأينا ما فعلته الزلازل في جنوب آسيا، وقد فرح البعض في هذه الزلازل وقال: إن هذه الشواطئ في هذه الأيام من السنة يكثر فيها العري والفجور والخنا فدمرها الله تدميراً. فهل يجوز لنا إظهار الشماتة في هذه الأحداث؟

الزلازل من آيات الله، وهي تشتمل على عقاب المذنب، وتذكير الغافل، وابتلاء المؤمن. وقد تحيق بقوم عقاباً، ويقوم ابتلاءً، ويقوم تمحيصاً، ولا ندري حكمة الله تعالى وراء كل زلزال، إلا ما ورد فيه نص الوحي مثل ما حاق بقوم لوط نكالا من الله تعالى على فاحشتهم. والزلزال الذي ضرب آسيا عبرة لنا، وقد أهلك عشرات الآلاف من المسلمين وغير المسلمين. ومهما تكن الحكمة القدرية وراءه، فإن الحكمة الشرعية هي التي ينبغي علينا التركيز عليها.

فالواجب الشرعي هو عدم الشماتة بهؤلاء المساكين، وحمد الله تعالى على العافية مما ابتلاههم به، ومساعدة المحتاج منهم، مسلما كان أو غير مسلم، ليسترد حياته.

إن الخلط بين الشرعي والقدري من المساوئ الهمجية السائدة الآن لدى بعض المسلمين، ويجب أن نتخلص منها. فإذا ابتلى الله تعالى عبدا من عباده المذنبين بمرض مثلا، فواجبنا علاجه من مرضه، لا التفرج عليه والقول إنه عوقب بذنبه؛ لأن ذلك جبرية وتفريط في الواجب الشرعي، كما أنه يتضمن نوعا من الرياء، وهو أننا نقول بلسان الحال: "هذا يستحق العقوبة وأنا لا أستحقها"، ونأمن مكر الله والعياذ بالله.

والواقع ألا أحد منا إلا وهو يستحق العقوبة بذنوبه، ولولا رحمة الخالق الرحيم، وأجله المسمى للجزاء والعقاب، لما أبقى لنا باقية. قال تعالى: ﴿ وَكَوْا يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ [النحل: ٦١]. فلنتق الله، ولننتب إليه، ونعين المبتلين من الضحايا على محنتهم، وعلى التوبة إلى الخالق المنتقم قبل فوات الأوان.

* أنتمي لحركة إسلامية منذ ما يقارب ١٢ عاما، ومنذ فترة ليست بالقليلة بدأ صراع نفوذ مكتوم داخل الحركة الإسلامية الكبيرة التي أنتمي لها، وبدأت أتعرض لمستجدات أخلاقية لم أتعرض

لها من قبل مثل استخدام التورية والتقية داخل الجماعة وعلى الإخوان لدرجة الكذب المنهي عنه شرعا. كما رأيت أن صراع النفوذ بين بعض الأقطاب والمسئولين والقياديين داخل الحركة تستخدم فيه أساليب لا أخلاقية مثل التجريح والغيبة والنميمة والاستقطاب الحاد، وطبعا كل طرف يستخدم أساليبه هذه مع كثير من المبررات الشرعية وبدعوى الحفاظ على التنظيم والجماعة. وفي سبيل الجماعة تنتهك كثير من الحرمات، مثل الحياة الشخصية للإخوة والمحاربة في الأزواق وغيرها من أساليب شاعت الآن داخل حركتنا الأم؟ بماذا تنصحنى؟ وبماذا تنصح من يستخدمون هذه الأساليب؟

الإسلام غاية والحركة وسيلة، فإن رأى أحد العاملين أن أمور حركته الإسلامية ليست على ما يرام، أو أنها أصبحت قيادا على طاقته، ولم تعد وسيلة لترشيدها وتسديدها، ولم يعد لديه ما يفعله لإصلاح شأن الحركة الداخلي، فالأولى به أن ينسحب منها ويعمل مستقلا في خدمة الإسلام.

على أن يتجنب التشهير بإخوانه وتضخيم أخطائهم وترويجها، إذ ليس ذلك من شيم الكرام الأوفياء. فلا تنس أن الرسالة واحدة ولو اختلفت أساليب التعبير عنها ووسائل خدمتها، ومثل هذه القضايا العملية والحركية محل اجتهاد ونظر، وكثيرا ما تختلف فيها الفهوم، مع حسن النوايا وصدق التوجه.

وقد خدم كثيرون الإسلام من خارج الحركة أكثر مما خدموه من داخلها. فالشيخ يوسف القرضاوي اعتذر عن أعلى منصب في حركة الإخوان المسلمين، وهو منصب المرشد العام؛ لأنه أدرك أن خدمته للإسلام بقلمه ولسانه من خارج الحركة ستكون أمضى.

وليس هذا تشجيعاً على الخروج على الحركات الإسلامية، فيد الله مع الجماعة، وإنما هو بيان لتنوع أساليب خدمة الدين ومرونتها. وكل ميسر لما خلق له.

* أنا أعمل مع الأمم المتحدة في إريتريا، ونسكن في مخيم فيه عدة جنسيات وديانات مختلفة، وقد قمنا بوضع سماعات للمسجد لرفع الأذان، إلا أننا ووجهنا باحتجاجات متعددة من أصحاب الديانات الأخرى، خصوصاً صلاة الفجر أرجو من فضيلتكم إرشادنا ما هو العمل في هذه الحالة؟ وهل نقوم بإزالة السماعات الخارجية للمسجد؟ جزاكم الله خيراً.

إذا كان في السماعات إيذاء لجيرانكم من غير المسلمين، كإيقاظ نائم، وما إلى ذلك، فإن حسن الجوار يقتضي منكم إزالتها، والاقتصار على الصوت البشري العادي.

فليست السماعات من أركان الصلاة أو شروطها، لكي تحرصوا عليها كل هذا الحرص.

* يتردد على ألسنة الناس مصطلح "أنت حنبلي" دلالة على الشدة والتعصب. ورغم أن في هذا إهانة للإمام أحمد -رحمه الله- إلا أن كثيرا من الناس لا يقصدون تلك الإهانة، حتى أن بعض أهل العلم يستعملونها في حديثهم. وأسألك: هل فعلا هذه المقولة صحيحة من حيث المعنى؟ وهل يجوز قول هذه العبارة بنية التعبير عن التزمّت والتعصب من دون نية المساس بمكانة الإمام أحمد؟

روى الإمام مالك في موطنه قصة رجل قال لصاحبه: "والله ما أبي بزان ولا أُمي بزانية"، وقد أقام عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحد؛ لأنه لم يقصد مدح أبيه وأمه، بل أراد تعيير أخيه والظعن في شرف والديه.

فكل كلمة قصد بها صاحبها الإساءة إلى أخيه وتعيبه، ولو كانت في الأصل بريئة، فهي من السب الممنوع شرعا. والإمام أحمد - رحمه الله - من أئمة المسلمين الأجلاء، ولا يجوز وصمه بالتزمّت أو التعصب، فهو لم يكن كذلك أبدا، بل كان باحثا عن الحق خادما له بقوله وفعله.

وإذا كان الإمام أحمد يميل إلى الأخذ بالنصوص - ولو كانت أحاديث ضعيفة- تورعا عن الأخذ بالرأي، فهذا يحمده، وقد خالفه العديد من العلماء في ذلك، ووافقهم مثل أبي داود صاحب السنن.

والخلاصة أن مقولة "حنبلي" بقصد الاتهام بالتعصب مقولة فاسدة المعنى، سيئة القصد، وهي من التعبير المنهي عنه شرعاً. * هل يصح ما تقوم به المراكز الإسلامية وبعض المشايخ من تقديم العزاء للكفار إذا حدث لهم مكروه، في حين أنهم لا يحركون ساكناً عندما يقتل الأطفال والنساء في بلاد المسلمين - وكلها جراح- فلا نراهم يشجبون أو يستنكرون أو حتى يترحمون على من قتل بأيدي الكفار.. فما رأيكم في هذا؟

تعزية الكافر جائزة شرعاً، وهي من حسن الخلق وكريم السمائل، وقد تحدث الإمام ابن القيم بإطناب عن هذا في كتابه "أحكام أهل الذمة". لكن تعزية الكافر ليست مبرراً لعدم تعزية المسلمين، أو عدم الاهتمام بأمورهم، فالخطأ ليس تعزية الكافر، بل التقصير في حق المسلم. وقد قال ﷺ: "المسلم للمسلم كالبنين يشد بعضه بعضاً"، وقال ﷺ: "مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".

* قرأت لك في موقع "الجزيرة.نت" مقالا عن (الإخوان المسلمين)، فهتمت منه أن الجماعة عليها مأخذ تنظيمية، ولكن لي صديق إصلاحى من اليمن يقول لي إنها أقرب الجماعات الإسلامية لفهم الإسلام فهما شاملا وبطريقة تتواكب مع العصر، وإنه لا بد على المسلم أن يناصرها إن لم يكن من أعضائها العاملين. أرجو التوضيح.

أوافق صديقك بأن حركة الإخوان المسلمين "أقرب الجماعات الإسلامية لفهم الإسلام فهما شاملا وبطريقة تتواءم مع العصر.. وإنه لا بد على المسلم أن يناصرها إن لم يكن من أعضائها العاملين"، وأن يناصر غيرها من الحركات العاملة للإسلام. لكن الانتماء لا يجوز أن يحول دون النصح والنقد والتقويم، سعيا إلى الانتقال من الحسن إلى الأحسن، فالتنظيم وسيلة لخدمة المبادئ الإسلامية الجليلة، وهو متبدل بتبدل غايات الإسلام وحاجات الأمة. والانتماء إلى حركة إسلامية لا يعني التغاضي عن الأخطاء وجوانب القصور فيها، فذلك خيانة للمبدأ الإسلامي الذي على أساسه تأسست الحركة. كما أن الانتماء إلى حركة معينة لا يجوز أن يمنعنا من الولاء لكل مسلم، أو يثبطنا عن نصرته جميع المسلمين من كل المذاهب والمشارب.

* ما حكم الاعتقاد بأن غير الشريعة أصلح وأفضل في الحكم؟ وما حكم الاعتقاد بأن الشريعة لا تصلح لهذا الزمان؟ وهل يكفر الشخص إذا صار علمانيا؟

الاعتقاد بأن غير الشريعة من قوانين العباد وأعرافهم أصلح من الشريعة هو انسلاخ من ربة الإسلام، ومثله الاعتقاد بأن الشريعة لا تصلح لهذا الزمان، إلا إذا كان صاحبه ممن تربي في بيئة غير مسلمة، ولم يعرف الإسلام على حقيقته.

أما تكفير كل العلمانيين، فليس برأي صائب، فالعلمانية ليست مرادفة لكلمة الكفر، وإنما نحتاج إلى التمييز بين العلماني اعتقادا،

والعلماني شهوة وهوى. فالأول قد يصير كافرا إذا اعتقد بوجود منهج أفضل من منهج الله، والثاني عاص من عصاة المسلمين، ولا يكفر بالذنب.

قال الإمام البخاري في صحيحه: "باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر بها صاحبها إلا الشرك".

* ما حكم الدين في الحكم بغير ما أنزل الله كالحكم بالديمقراطية أو العلمانية؟

الحكم بغير ما أنزل الله كفر أو فسق أو ظلم، بحسب الظروف والأحوال والدوافع. أما الديمقراطية والعلمانية فليستا من طينة واحدة. فالديمقراطية شكل وإجراء، والعلمانية مضمون عقدي وفكري. أما الديمقراطية فلا تنافي الشرع الإسلامي، لأنها مجرد صيغة إجرائية، يمكن أن تقود إلى حكم الإسلام أو إلى حكم غيره، فلا ينبغي أن نحكم الديمقراطية في ذاتها، أو نحكم عليها بالكفر أو بالإيمان.. وأما العلمانية فهي مضمون فكري وعقدي يحل محل الاعتقاد والفكر الذي أمرنا الخالق أن ندين به قولا وفعلا.

فالعلمانية مرفوضة جملة وتفصيلا، والديمقراطية لا ينبغي رفضها في ذاتها، بل الأولى ملؤها بمضمون إسلامي. ومهما يكن فإن الخطر على الإسلام اليوم ليس الديمقراطية، بل الاستبداد والظلم السياسي.

* لعلم سمعتم بما تعرضت له فتاياتنا المسلمات في فرنسا، ولعل آخرها طرد فتاتين في المدرسة لارتدائهما الحجاب، فهل مثل هذه الانتهاكات ضد الحريات في فرنسا وغيرها تجعلها في نطاق بلاد الكفر؟ وهل يجوز للمسلمة أن تبقى في فرنسا بعد ذلك؟ وماذا لو كان أهلها فارين من طغيان البلدان العربية المدعاة الإسلامية وليس لها حياة آمنة في وطنها الأم؟

ما ننصح به هو بقاء المسلمات في فرنسا، حتى مع هذه المضايقات، لكن بشرط العمل الدعوى لرفع هذا الظلم، من خلال العمل السياسي والإعلامي والحقوقى، فالهروب من المشكلة لن يحلها، والخروج من فرنسا إلى بلدان "إسلامية" تضطهد المسلمين ليس خياراً. وقد نشرت عن موضوع الحجاب في فرنسا مقالا على موقع الجزيرة نت بعنوان: "الحجاب والعلمانية والخطرسة الفرنسية".

* ما حكم إيواء الدولة المسلمة للاجئين الفارين من الاستبداد السياسي في حالة وجود اتفاقيات دولية بينها وبين دول أخرى لا تسمح لها بذلك؟ وهل يجب على الدولة المسلمة في هذه الحالة نقض الاتفاقيات الدولية؟

إغاثة المهوف ورفع الظلم عن المظلومين مبدأ إسلامي أصيل، بل هو مبدأ إنساني عام يؤمن به أهل الضمائر السليمة من البشر،

مسلمين كانوا أو غير مسلمين. وقد اشترك النبي ﷺ في حلف بدار عبد الله بن جدعان في الجاهلية ينص على أن "لا يظلم بمكة أحد"، ثم قال ﷺ بعد ذلك إنه لو دعي إليه في الإسلام لقبه.

فلا يجوز للدول المسلمة أن ترد مظلوماً إلى ظالميه، أو سجيناً إلى جلاديه، أما المعاهدات الدولية التي تتحدث عنها فهي لا تلزم برد اللاجئ إذا كان سيتعرض لتعذيب أو قتل. وهذا سبب كاف للتخلص منها إذا كانت ستؤدي إلى استمرار الظلم والحيث.

* ما هو حال الدعوة إلى الإسلام في أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر؟

الدعوة في أمريكا بخير، والناس يدخلون في السلام يومياً بحمد الله، وقد أدت أحداث ١١ سبتمبر إلى تصاعد الاهتمام بالإسلام لدوافع شتى، منها الخوف ومنها الفضول، لكن هذا الاهتمام يقود إلى التعرف، والتعرف يقود إلى الاعتناق. فالدعاية المكثفة ضد الإسلام بعد ذلك اليوم الدامي كان لها مفعول عكسي، فزادت اهتمام الناس بالإسلام، بدلاً من تنفيرهم منه. تماماً كما كانت قریش ترسل الرسل لصد القبائل عن الاستماع للنبي ﷺ، فزاد اهتمام تلك القبائل به وبدعوته حتى قضى الله له بالنصر من خلال اعتناق الأنصار للإسلام. والله في خلقه شئون.

